

عالم تسكنه الحيوانات

جوج اوریول

عالم تسكنه الحيوانات

ترجمہ: الکتور شامل اباظ

مراجعة: نرود اباظ

طائر المعارف

الاجتبية



تاریخ: ۱۹۵۰ء

مطبع: ۱۹۵۰ء

رقم المسجل: ۲۲۵۲



طائر المعارف

شخصيات القصة وحيواناتها

الرجال :

صاحب مزرعة مانور .	جونز
صاحب مزرعة فوكس وود .	بلكنجتون
صاحب مزرعة بنشفيلد .	فردريك
سهمسار المزرعة .	ويمبر

الخنازير :

صاحب المذهب الحيوانى .	ماجور
	نابليون
	سنوبول
	سكويلر

الخيول :

حصان جر .	بوكسر
فرس جر .	كلوفر
مهرة .	مولى
	الخمير بنيامين .
	العنترة موريل .
	الغراب موسى .

مزرعة الحيوانات - جورج أورويل

جورج أورويل هو الاسم الأدبي المستعار الذي اشتهر به المؤلف والكاتب أريك بلير ، وقد ولد بالهند سنة ١٩٠٣ ، وتلقى تعليمه في كلية إيتون .

ابتدأ حياته العملية ضابطاً في الوحدات الهندية الإمبراطورية ، وعمل في بورما في الفترة ما بين سنة ١٩٢٢ حتى سنة ١٩٢٨ ، ثم أقام سنتين بعد ذلك في باريس ، وعاد إلى إنجلترا ليعمل مدرساً بها ، ثم موظفاً بمكتبة .

وفي سنة ١٩٣٧ حارب في صفوف الجمهوريين بإسبانيا وجرح بها ، وفي الحرب العالمية الثانية عمل بالحرس الوطني وبالإذاعة البريطانية ، وفي سنة ١٩٤٣ اشترك في تحرير مجلة تريبيون ، وخصصت له صفحة كاملة ، لينشر خواتمه الأدبية والسياسية ، ثم التحق بجريدة الأوبزيرفر ، وأفدته مراسلاً خاصاً لها في فرنسا وألمانيا ، وقد توفي سنة ١٩٥٠ بإنجلترا بعد أن ترك الكثير من المؤلفات .

وفي سنة ١٩٤٥ ذاع صيت جورج أورويل عندما نشرت له قصة «مزرعة الحيوانات» Animal Farm ، وقد بيع منها أكثر من مليوني نسخة ، وحظي مؤلفه «في عام ١٩٤٨ Nineteen Eighty Four» كذلك بشهرة كبيرة ونجاح مماثل ، كما نال الاهتمام البالغ حين أخرج في السينما والتلفزيون .

وقد جمعت رسائله ومقالاته وأعماله الأدبية في مؤلف من أربعة أجزاء .

الفصل الأول

أغلق مستر جونز صاحب مزرعة مانور الباب الخارجي للحظائر كعادته عند المساء إلا أنه كان ثملاً للغاية ، حتى إنه قد نسى أن يغلق الحظائر المختلفة لجميع حيوانات المزرعة !

وعلى ضوء مصباحه الذي يتراقص من أثر الريح اجتاز الفناء ، وقذف بجذائه عند الباب الخلفي لبيته ، وسكب لنفسه آخر ما في البرميل من جعة : وشرب كأسه بالمطبخ ، ثم انسحب إلى حجرة نومه بالدور العلوى حيث كانت زوجته تغط في نومها .

وما كاد نور حجرته ينطفئ حتى اندفع صخب في أنحاء المزرعة ؛ فقد وصل إلى علم الحيوانات في أثناء النهار أن الخنزير الهرم الحكيم « ماجور » الحائز على جائزة معرض ويلنجدون قد واتاه في الليلة السابقة حلم غريب رأى أن يذبحه على جميع حيوانات المزرعة ، وكان من المتفق عليه أن يجتمعوا في الحظيرة الكبيرة عند الليل بعد نوم مستر جونز .

ولقد كان « ماجور » العجوز خنزيراً مرموقاً بالمزرعة ، وكان الاسم الذي عُرض به حين حاز الجائزة هو فتى ويلنجدون الجميل ! وكان يسعد الحيوانات جميعها أن تستمع إليه وإن ضححت في سبيل ذلك بساعة من نومها ؛ وفي نهاية الحظيرة الكبيرة اعتلى « ماجور » كومة من القش وقد كست وجهه سمات الطيبة ومظاهر المهابة والوقار والحكمة !

وقد زاد هذه السمات تبلوراً ، أنيابه البارزة الطويلة بعد أن ناهز من عمره الاثني عشر عاماً .

وتوالى حضور الحيوانات ، واختيار الأماكن المناسبة تأهباً للاستماع ، وقد بادرت بالحضور الكلاب الثلاثة بلوبل وجيسى وبشر ، وخنازير الحظيرة التي تربعت عند مجئنا على القش الذي يلي منصة «ماجور» مباشرة ؛ كما تجمع الدجاج على أفاريز الشبايك ، وحط الحمام على العروق الخشبية لسقف الحظيرة ، ورددت الأغنام والبقر خلف الخنازير تتحرك أفواهاها وهي تجتر غذاءها ، ثم أقبل بوكسر وكلوفر حصاناً الجر بالمزرعة ، وكانا على حذر حينما تربعا على القش خشية أن يدهما كائناً من الحيوانات الصغيرة التي ربما استخفت في غياهب القش !

وكلوفر فرس تقرب من منتصف عمرها تبدو عليها طيبة الأم : ممتلئة لم تستطع أن تستعيد رشاقته الأولى بعد أن وضعت مولودها الرابع .

أما بوكسر فهو حصان ضخم مرتفع القامة ، يبلغ من القوة ما لا تتاح لحصانين مجتمعين معاً . وتحت أنفه شامة بيضاء تضيء عليه سمات الغباء ! ولقد كان في الواقع سطحي التفكير ، وإن استطاع أن يكتسب لنفسه احترام زملائه من الحيوانات الأخرى نظراً لطاقته الضخمة في العمل ، وما يتمتع به من أخلاق عريقة .

ثم أقبلت بعد ذلك موريل العنزة البيضاء ، وبنيامين حمار المزرعة ، وكان بنيامين هذا أطول حيوانات المزرعة عمراً وأسوأهم طبعاً ، نادر الكلام ، فإن تكلم فليبدى تهكمه : فهو ربما يقول : إنه يدرك أن الله قد منّ عليه بالذيل لكي يهش به الذباب عن نفسه ، ولكن أما كان الأخرى به أن يخلقه بلا ذيل ويرحمه الله من جور الذباب جميعاً ، فإذا ما عاتبته الحيوانات على عبوسه المستمر دافع عن نفسه

بقوله : إنه لا يرى في الدنيا ما يضحك !

وكان بنيامين يخلص وده ليوكسر دون أن يصرّح بهذا ، وكان يقضى بجانبه دائماً عظة يوم الأحد يرعى معه الحشيش في صمت خلف حديقة الفاكهة .

وما كادت الخيل تتوسد القش حتى وقد على القاعة بط صغير فقد أمه ، وأخذ في الصباح ، فضمته كلوفر بين قدميها ، واستقر في الدفء ، ثم استسلم للسبات !

وأقبلت بعد ذلك مولى المهرة الغرّة البيضاء وهي تتبختر في مشيتها وقد ربطت إلى معرفتها شريطاً أحمر ضفره لها مستر جونز ، وراحت تجرش قطع السكر محدثة صوتاً حاولت به اجتذاب انتباه الآخرين متباهية بجالها والشريط الذي يزينها !

وأخيراً أقبلت القطعة وحشرت نفسها بين بوكسر وكلوفر حيث الدفء اللذيذ ، واستسلمت للنوم دون أن تكلف نفسها عناء الاستماع لكلمة واحدة من محاضرة

الخبزير «ماجور» ! وبذلك اكتمل عقد اجتماع المزرعة ما عدا موسى - غراب مستر جونز المدلل الذي اعتاد النوم في عش وراء الباب الخلفي لمزل المزرعة .

وعندئذ أخذ «ماجور» في سعال يجلو به صوته في بداية الاجتماع ، وقد أرهف الحاضرون السمع ، واستهل «ماجور» محاضرتَه قائلاً :

«أيها الرفاق ، لقد سمعتم بالطبع بالحلم الغريب الذي أتيج لي في الليلة الماضية والذي سأقص عليكم فحواه فيما بعد ؛ إذ أن عندي الخطير من الأمور التي رأيت

أن أقدمها لكم ، أولاً : إنني كما تعلمون قد بلغت من العمر أزدله ، وربما لا تمتد حياتي شهوراً طويلة قادمة ، وقد رأيت لزاماً علي أن أحدثكم بخلاصة حكمتي

وتجاربي وما زال في العمر بقية ! لقد أتاح لي عمري المديد الذي قضيت شوطاً طويلاً منه وحيداً بحظيري في تفكير متصل - أن أصل إلى أسرار الحياة فوق هذا

الكون ، وذلك هو محور حديثي الذي أزمع أن أقدمه إليكم .

ثم أستطرد «ماجور» قائلاً : والآن أيها الرفاق ، ما طبيعة الحياة التي نعيشها معشر الحيوانات ؟ دعونا نواجه أمورنا بصراحة : حياتنا جد قصيرة - نقضياً في كد وعناء ! نحن نولد فلا يسمح لنا إلا بالكفاف الذي لا يكاد يمسك علينا رمقنا ، والحيوانات يستغلها الآدميون في أعمالهم فتشقى بها حتى أنفاسها الأخيرة ! فإذا ما انتهت الحاجة إليها قادوها للذبح في قسوة بالغة ! وقد وئدت الحرية بانجلترا حتى أصبحت الحيوانات لا تعرف معنى السعادة أو الراحة منذ بداية حياتها إلى نهايتها ! إن حياتنا في حقيقتها هي الشقاء مجهداً والعبودية في أشنع صورها !

أما من جانبنا معشر الحيوانات فهل كتب علينا الاستسلام لهذه الأوضاع على أنها من طبائع الأشياء ؟ وهل الأرض التي نعيش عليها من الشح والقحط بحيث لا يمكنها أن تجود علينا بعيش مناسب كريم ؟ كلا وألف كلا ؛ فإن أرض إنجلترا خصبة ، ومناخها طيب تستطيع معه أن تجود بالخيرات لأضعاف الأعداد التي بها الآن من الحيوانات : فالمزرعة التي نعيش عليها مثلاً تستطيع أن تأوي عشرة خيول وعشرين بقرة ومئات من الغنم في أكرم حياة تستطيع أن تهفو إليها آمالنا ، فعلام إذن نواصل تلك الحياة التعسة ؟ ما من سبب يدعو لذلك إلا جشع الإنسان الذي يستحوذ على فائض الإنتاج ، وهي الحقيقة المرة التي تفسر لنا أسباب تعسنا وإن دارت كلها حول محور واحد هو الإنسان ! إن الإنسان هو عدونا الأوحده والأزلى ، فإذا ما استبعدناه من طريقنا فإننا نكون بذلك قد محونا جذور الجوع والعبودية إلى الأبد !

فالإنسان أيها الرفاق - هو المخلوق الوحيد الذي يستهلك ولا ينتج ؛ فهو لا يدر اللبن ولا يبيض ، وهو أوهى من أن يحرق الأرض بنفسه ، وهو أبطأ من أن ينحق بالأرانب ليصيدها بيديه ، ومع ذلك فإنه السيد على جميع الحيوانات ، يسخرها

في العمل ولا يوجد عليها إلا بالكفاف مستأثراً لنفسها بكل الطيبات !
أما نحن الذين نحرث الأرض ونسمدها فليس لنا ماتملكه حتى جلودنا !
أيها الأبقار التي أمامي : أى ألوف من لترات اللبن حلبت في العام الماضي
وكان من حقلك أن تربي عليها أبناءك من العجول الصغيرة ؟ إن كل قطرة منها
تسربت إلى بطون أعدائنا ! وأنت أيها الدجاج ، كم من البيض أنتجت في عامنا
هذا ؟ وماذا بقي منه لأغراض الفقس ؟ إن هذا البيض ذهب إلى السوق ؛ ليحلب
مزيداً من المال لجوز وعصابته ! وأنت يا كلوفر ، أين مهراتك الأربع التي ولدت ؟
لم تبق فيها بالمرعة واحدة لتكون سنداً لك في شيخوختك ! لقد باعها جوز جميعاً
وليس لك من أمل في رؤيتهم مرة أخرى . برغم عمك المتصل بالحقل ووجباتك
الهزيلة !

ومع تلك الحياة التعسة التي يعيشها فإن البشر لا يسمحون لنا أن نستمر فيها إلى
نهايتها الطبيعية !

أما فيما يتعلق بنفسى فليس لى أن أشكو هذا ؛ لأننى أعد نفسى من المحظوظين
وقد بلغت الثانية عشرة من عمرى ولى من الذرية ما يربو على أربعائة خنزير !
وهذه هى الحياة الطبيعية المقدرة للخنازير ، إلا أنه فيما يتعلق بكم فما من حيوان
سيفلت من حد السكين في نهاية المطاف !

أيها الخنازير الصغيرة التي تجلس أمامي ، إنك ستعدين حياتك القصيرة التي
ستصل بعد عام إلى نهايتها البشعة ، هذا هو المصير المرعب الذى يتهددكم جميعاً من
أبقار وخنازير وغنم وغيرها ؛ حتى الخيل والكلاب فهى ليست أسعد منا حظاً :
فأنت يا بوكسر حينما تذوى عضلاتك القوية فإن جوز سيبيعك للجزار ويرمى
بلحمك لكلاب الصيد ! أما الكلاب إذا ما شاخت وسقطت أنيابها فإن جوز

سوف يعلق في رقبتها حجراً ويرمى بها في أقرب بركة !

ألم يتضح لكم بعد أيها الرفاق أن الإنسان وحده هو مصدر مصائبنا ؟ عليكم إذن أن تتخلصوا منه ، وعندئذ تعود إلينا ثمرات عملنا ! إنني لأشك لحظة أن حلمنا هذا في الحرية والثراء لا بد أن يتحقق ، ولكن علينا واجباً شاقاً يجب أن نؤديه ، إن علينا أن نعمل ليلاً ونهاراً بأرواحنا وأجسادنا لقلب نظام الجنس البشرى !

إن الثورة هي رسالتى إليكم أيها الرفاق ، وإن كنت لا أستطيع أن أتنبأ لكم بموعدها ؛ فقد تتحقق بعد أسبوع أو بعد مائة عام ، ولكننى واثق تماماً من حتمية مسيرتها ثقتى من وجود هذا القش الذى أدوسه بأقدامى ، فإن العدل لا بد أن يسود !

ركزوا أنظاركم على هذا الهدف المشهود أيها الرفاق حتى النفس الأخير من حياتكم القصيرة ؛ وعليكم أن تنقلوا رسالتى هذه للأجيال القادمة ، حتى نصل بأهدافنا إلى النصر ، وواصلوا الجهاد بعزيمة لا تلين ، وعليكم ألا تفرقوا في سرايب الخلافات المذهبية !

ولا تسمعوا لمروجى الدعايات المضللة التى يرددنها الإنسان وأعوانه من أن لهم ولنا معشر الحيوان أهدافاً مشتركة وأن لنا نصيبنا مما يسكب عليهم من خيرات ؛ إنها محض افتراءات . إن الإنسان لا يتحرى إلا مصلحته الذاتية . أما نحن معشر الحيوانات فلا بد لنا من أن نتحد في طريق الثورة . شعارنا (البشر جميعاً أعداؤنا ! والحيوانات كلها رفاقنا !) .

وإذ ذاك خرجت أربعة فئران من حجورها مستطلعة ؛ واندرست في الصفوف الأخيرة فدهمتها الكلاب ، وكادت تفرس فيها أنيابها لولا أنها لاذت بالفرار ،

وعادت لجحورها في الوقت المناسب ، وأثارت هذه المعركة ضجة شديدة فرجع ماجور رجليه الأماميتين مشيراً بالتزام الهدوء واستأنف حديثه قائلاً : أيها الرفاق ، علينا أن نحدد منذ البداية جميع الأمور بجلاء :

هل ستعتبر الحيوانات البرية كالأرانب والفئران من زمرة أصدقائنا أو نتخذهم أعداء ؟ وطرح هذا السؤال للتصويت ، وتمت الموافقة بأغلبية ساحقة من الأصوات على اعتبار الحيوانات البرية صديقة ، ولم يخرج على هذا الإجماع إلا أربعة من الحضور ، القط والكلاب الثلاثة التي تبين أن الأمر قد التبس عليهم فأدلت بأصواتها مع الجانبين ! واستأذن ماجور قائلاً : إن لدى القليل لأقوله بشأن ضرورة استمرار الكفاح في سبيل معاداة الإنسان وفضح أساليبه ! وإن شعارنا هو أن كل من يدب على قدمين انتن عدولنا ، وكل ما يمشی على أربع أو ما يطير صديق لنا ! وما دمنا قد انتهجنا سبيل الحرب ضد الإنسان فإن علينا أن نتجنب التشبه به وبأساليبه ؛ فإذا كتب لنا النصر فعلينا أن نتجنب كل العادات والتقاليد البشرية مثل اتخاذ المساكن أو النوم على الأسرة أو لبس الأزياء أو شرب الخمر أو التدخين أو التعامل بالتقذ أو الاشتغال بالتجارة ؛ فإن هذه العادات البشرية جميعاً إنما هي من اختراعاته الشيطانية ! وعلينا أن نضع في اعتبارنا أنه من الأمور الجوهرية ألا يحاول حيوان ما أن يستعبد أبناء جلده من الحيوانات الأخرى مستغلاً ضعفها أو غباها ؛ فإن الحيوانات كلها سواسية !

والآن فقد حان الوقت ، لأحدثكم عن حلم ليلتي الماضية ؛ فإن أمره لغريب حتى لا أستطيع أن أصفه لكم ؛ فقد كنت أحلم بالأرض وهي تخلو من البشر ! وقد أعاد لي حلمي هذا ذكرى من طفولتي عن أغنية كانت أمي تردها لي ، وكنت قد نسيتها إلا أصداء نغم وبقايا من كلمات ، وقد بعثت فجأة إلى خاطري حية تنبض

بالقوة كاملة لا تقص فيها منذ أن غناها الرعيل الأول من البهائم ، ثم علاها بعد ذلك صداً النسيان !

إنني رأيت أن أنشدها لكم أيها الرفاق برغم كبر سني وخشونة صوتي ! فإذا ما حفظتموها استطعتم بعد ذلك ترديدها وأدائها خيراً مني وعنوانها : « يا وحوش إنجلترا » .

وجلاماجور صوته ، وابتدأ في الإنشاد بصوت خشن وأداء ممتاز ، وكانت أنغامها مثيرة وكلماتها عجيبة تقول :

يا وحوش إنجلترا وقطيع إيرلندا العتيذ
من صغير وكبير وقريب وبعيد
إنها بشرى المنى إنه الفجر الجديد
عن غد يحطم فيه الوحش م أغلال القيود !

° ° °

في غد ينقلب الظلم م وتهدد المعازل
دولة الإنسان دالت وهو في الأعقاب زائل
ليست الأرض للإنسي م من الأشرار قاتل !
إنما الأرض لمن كدم على الأرض وناضل

° ° °

لا كانت أسباب الحيف أو كانت حلقات الأنف
لا كان السرج بأظهرنا أو كانت ألوان الخوف
أو كانت فرقة السوط لذوات الحافر والظلف
إن الإنسان لجينار إن كانت يقابل بالضعف

الفول لنا والقمح لنا والقرطم والبرسيم لنا
 نمحو الإنسان من الدنيا لنقيم دعائم دولتنا
 ونرد مظالم إخواننا ونعز مبادئ ثورتنا
 الفول لنا والقمح لنا والحقل بما يحويه لنا !

* * *

الثورة بوتقة الغضب ثوروا لليوم المرتقب
 مرحى بالكد وبال تعب ! لن ننجح إلا بالتصّب
 من حقق حلماً قبلكمو إلا بالسعي وبالذاب ؟
 ستور كالسنة اللهب سعياً للحق المغتصب !

* * *

وقد أثار ترديد هذا النشيد حماساً عتيقاً بين الحيوانات ، وما كاد ماجور يصل إلى نهايته حتى أخذت تردده من جديد لأنفسها . وكان مما أثار العجب أنه حتى الحيوانات التي لا تتميز بالذكاء استطاعت أن تلتقط بعض أنغام النشيد وتنفأ من عباراته ! أما الحيوانات ذات الذكاء كالخنازير والكلاب فقد حفظته عن ظهر قلب في دقائق معدودات ! وبعد محاولات قليلة اتسقت أصوات الحيوانات على اختلافها في ترديد نشيد (يا وحوش إنجلترا) في نسق واحد دون أن يبدو منها نشاز يذكر !

البقر بخواره والكلاب بنباحها والغنم بثغائها والخيل بصهيلها والطيور بهديلها - غمرها النشيد بنشوة عارمة حتى إنها أعادته خمس مرات متتاليات ! ولو تركت لشأنها لما سكنت عن الترديد . إلا أن الضجة أيقظت مستر جونز ، فظن أن ثعلباً تسلل للمزرعة ، وقفز من فراشه وامتدت يده إلى بندقيته التي يحتفظ بها قريباً من

سريره ؛ ومزقت سكون الليل عدة رصاصات استقرت في حائط حظيرة الاجتماع ،
وبذلك أسدل الستار المفاجئ على الاجتماع ، وهرعت الحيوانات إلى مضاجعها ؛
والطيور إلى عشها . وفي لحظات كان الجميع في سبات عميق !

أفضل الشاتلي

فضى ماجور نجبة في سلام في شهر مارس ، وبعد ليال ثلاث من وصيته الأخيرة : وقد وورى جسده بالتراب تحت شجرة تفاح بالمزرعة .

وكان لمحاضرة ماجور صداها البعيد على الحيوانات التي تمتاز بالذكاء . فابتدأت في تنظيم حركات سرية في الأشهر الثلاثة التي تلت وفاته ، وقد اختلفت نظرتها القديمة للحياة ، ومع أنها كانت لا تدرك متى تتحقق نبوءة ماجور ، ومع أنها كانت لا تتصور أنها قابلة للتحقيق وهي على قيد حياة - فإنها مع ذلك قد اقتنعت أن واجباً لا مناص منه يقع على كاهلها في الإعداد لها !

ولما كانت الخنازير هي أذكى الحيوانات فقد تكفلت بمهام التنظيم ونشر الدعوى بين الحيوانات الأخرى ، وقد برز في هذه المجالات خنزيران شابان هما سنوبول ونابليون ، كان يعدّهما مستر جونز للبيع .

وكان نابليون ضخّم الحجم ذاقسمات قاسية ، ولد في مقاطعة بركشاير ، وهو لا يمتاز بطلاقة اللسان ، ولكنه مع ذلك كان دائماً يصل إلى أغراضه بوسائله الخاصة ، أما سنوبول فقد كان أكثر حيوية من نابليون وأكثر فصاحة معروفاً بسعة الأفق ، وإن كان يفتقر إلى قوة الشخصية التي يتحلى بها غريمه .

أما بقية خنازير المزرعة فهي خصبة معدة للتسمين ليس فيها من ذوات الرأي إلا خنزير سمين يدعى سكويلر ، مستدير الحدود أثقل الشحم خطاه ، وضغط على قسمات وجهه فضاقت عيناه ، وأثر على صوته ، فصارت نبراته كالصرير ،

متحدث لبق وله لازمة إذا ما استبد به الحماس : يترنح بعصية ذات اليمين وذات اليسار ، وهز زيله بهمة لا يملك معها السامعون إلا الاقتناع حتى أشبع عنه أنه من القادرين على قلب الحق باطلاً والباطل حقاً !

وأخذت هذه الخنازير الثلاثة في تقنين تعاليم ماجور ، وإخراجها في مذهب فكري متكامل عرف بالحيوانية Animalism . وأخذت على عاتقها مهمة شرحه ونشره على الحيوانات الأخرى في اجتماعات متعددة في أثناء الليل حيث يأوى مستر جونز إلى فراشه .

وقد لاقت الخنازير الثلاثة في بداية الأمر صعوبة بالغة في نشر دعوتها لما اعترضها من غباء الحيوانات الأخرى واستكانتها للأمر الواقع ، حتى إن فيها من كان يرى ضرورة الإخلاص لجونز وأصرت على الإشارة إليه بلقب السيد ! وكانت تحمد له صنيعه في إيوائها وإطعامها ، وكانت تحثي عاقبة الخروج عن طاعته ، وكانت الحيوانات المستكينات لا تحجل من أن تجادل بأن الموت مكتوب عليها بطريقة ما وبأنها إذا ما ماتت فإنها لا تأبه بما بعد الموت ! وإذا ما ذكرت لها الخنازير الثلاثة أن الثورة آتية لا ريب ، وأنها من الأمور الحتمية تساءلت : فعلام إذن الجهاد والتعب فيما هو آت بالضرورة واقع بالحتمية ؟ وهكذا لاقت الخنازير الثلاثة عنتاً أي عنت في إقناعها بنصوص المذهب الجديد وروحه ، وبضرورة الالتزام به والعمل في سبيله .

وربما كانت أكثر التساؤلات غباءً وسطحية - هو سؤال المهرة مولى : هل ستحظى بعد الثورة بقطع السكر؟ وهل ستمكّن من أن تزين معرفتها بالأشرطة الملونة؟ فقاطعتها سنوبول وعنفها بحدة على ملاحظاتها السخيفة ، وذكر لها أنه ليس لدى الثورة المقدرة على جلب السكر ، كما أنها لا تعنى بذلك ، ويكفي ما لديها من

حنطة ودريس ! أما بخصوص الشرائط فقد وجه سنوبول حديثه لجميع الحيوانات محذراً منها ؛ فهي في رأيه رمز العبودية والتبعية ، وإن الحرية تستحق من الحيوانات التضحية بمثل هذه المظاهرة التافهة ! واضطرت مولى المسكينة أن تتظاهر بالموافقة عن غير اقتناع . كما وجدت الخنازير عتاً في مواجهة حملة الدعاية الخبيثة التي كان يشيعها موسى غراب مستر جونز المستأنس ، والذي اعتاد نقل الكلام وإفشاء الأسرار وإطلاق الإشاعات المحبوكة ! وقد كان يدعى وجود بلد غريبة اسمها « جبل السكر نبات » تبعث فيها الحيوانات بعد موتها ، وهي فيما وراء الغيوم مباشرة في السماء ! وفي هذه المملكة السماوية ترتاح الحيوانات من عناء العمل الدنيوى ، ولها ما شاءت من برسيم في كل الفصول ، وعلى حدود حقول البرسيم تنمو أسوار من الفطائر اللذيذة « والسكر نبات » !

ومع أن الحيوانات كانت تبغض موسى لكسله وخبيثه ، فإن بعضها كانت تؤمن بنبوءته عن مملكة « السكر نبات » ، وإن نفت الخنازير احتمال وجودها ، وكان من أخلص التلاميذ للمذهب الخنزيرى الجديد بوكسر وكلوfer اللذان استوعبا جميع التعاليم الجديدة ، وعملا على التبشير بها بين سقى الحيوانات في عبارات بسيطة . لا يتكلمان إلا بوحى المذهب ، ولا يفكران إلا في حدوده ، ويوظبان على الاجتماعات في الحظيرة ، ويترعمان إنشاد « يا وحوش إنجلترا » في ختام الجلسات . وفي غفلة من الزمان - وبسهولة لا يمكن أى أحد تصورها - انبعث الثورة . وتم لها النجاح : ففي السنوات الخالية البعيدة كان مستر جونز يحسن إدارة مزرعته ، ويتسم بالقسوة وحب النظام إلا أنه قد أخذ في التراخي بعد أن فقد ثروته ، واستسلم بعد ذلك للسكر والعريضة !

وقد أصبح يقضى جل وقته في مطبخ منزله بالمزرعة على كرسية المريح ، يقرأ

الصحف ويسكر ويطعم غرابه موسى من وقت لآخر بقطع من الخبز المغموس في
الجمعة ، وتحول عمال المزرعة إلى شلة من الكسالى الخزى الذمة ، فذبت الأعشاب
في الحقول ، وتشقق سقف المنزل ، وأهملت أسوار المزرعة ، وأسلمت الحيوانات
للإهمال والجوع !

وأقبل شهر يونية حينما كان الدريس معداً للحصاد ، وفي يوم السبت الذى
يوافق يوماً يحتفل به الزارعون يسمى بعيد منتصف الصيف - سافر جونز إلى
ويلنجدون للاحتفال بهذه المناسبة في حانة «الأسد الأحمر» ، واستسلم للشرب
حتى نمل في سكره ولم يبق إلا عند منتصف يوم الأحد التالى تاركاً أمور المزرعة في
أيدي عماله !

وقد حلب العمال البقر في صباح يوم الأحد ، ثم ذهبوا لرحلة يصيدون فيها
الأرانب دون أن يلتفتوا إلى إطعام الحيوانات الجائعة ، وعاد مستر جونز من سفره
واتجه إلى حجرة الجلوس بالمزرعة مواصلاً نومه على الأريكة وقد خبأ وجهه
بصحيفة «أخبار العالم» . واستمرت الحيوانات على جوعها حتى المساء ، وهو الأمر
الذى لم تستطع معه صبراً ، وفجأة دفعت إحدى الأبقار باب المخزن بقرنيها ،
فاندفعت الحيوانات داخله تأكل ما به من غلال !

واستيقظ مستر جونز واستدعى عماله الأربعة الذين كانوا قد عادوا من
رحلتهم ، وانبروا جميعاً وفي أيديهم سياط يضربون بها الحيوانات ويردون عنها
المخزن ، وكانت هذه القسوة أكثر مما تحتملها الحيوانات الجوعى ، وبدون ترتيب
سابق ، وفي وحدة من القصد انقلبت الحيوانات على جلادها تركلهم وتععضهم
حتى أفلت الزمام من أيدي الرجال الذين لم يعرفوا من قبل سابقة ل هذه الظاهرة ،
فتوقفوا عن الدفاع عن أنفسهم ، وانتابهم رعب شديد ، وهرعوا إلى خارج

المزرعة ، وانجهوا إلى الطريق العام والحيوانات تتبعهم بعد أن تم لها الانتصار ! وكانت مسز جونز تتبع الموقعة من نافذتها ؛ وحينما رأت ما حل بزوجها ورجاله جمعت حاجاتها في عجلة ، واندفعت تجرى في الاتجاه الآخر والغراب موسى يطير وراءها وهو ينعى أيام السعادة والهناء ! ولما أيقنت الحيوانات النصر وتيقنت هروب أعدائها عادت ، فأغلقت باب المزرعة الكبير ذا العوارض الخمس ، وهكذا وقبل أن تدرس الحوادث أو تتسلسل حلقاتها أيقنت الحيوانات أن الثورة قد نجحت ورسخت وأن مزرعة جونز قد أصبحت ملكاً خالصاً لها !

وفي الدقائق الأولى وقبل أن تفيق الحيوانات من ذهولها المتشئى بهذه المفاجأة السعيدة التي هيأت لها المستقبل الوردى الذي ينتظرها راحت الحيوانات تهوول حول أسوار المزرعة لتطمئن منها القلوب مرة أخرى أنها خالية من البشر ؛ ثم اندفعت بعد ذلك إلى مباني المزرعة تمحو منها آخر معالم الحكم الإنساني البائد ، واقتحمت مخزن المعدات الذي كان يحفظ فيه مستر جونز الأجمة والسروج وحلقات الأنوف وسلاسل الكلاب والأمواس المخصصة لخصى الخنازير والخرفان . وألقت بها جميعاً في جوف البركة . كما جمعت السيور وأصفاد الأرجل والسياط وعصابات الأعين وأدوات خزم الأنوف وألقت بها في النار !

وحينما كانت النار تلتهم أدوات الإرهاب هذه ارتفعت صيحات الابتهاج والاستحسان !

وقد تعمد سنوبول أن يلقى إلى النار أيضاً بالأشرطة الملونة التي كان يزين بها مستر جونز معارف الخيل وذبولها حينما يذهب بها إلى الأسواق ! وأعلن أنه يعتبر هذه الأشرطة من قبيل الأزياء البشرية التي تتنافى هي والمذهب الحيوانى ومبادئ العرى ! وهنا نزع بوكسر قبعة من القش كان مستر جونز يثبتها على رأسه في

الصيف ، لتدود عنه الذباب ؛ وألقى بها في السعير ! وتقدم نابليون تتبعه الحيوانات إلى مخزن الغلال وقدم لها وجبة مضاعفة منها ، كما قدم للكلاب قطعتين من البسكويت) ، ثم أخذت الحيوانات بعد ذلك في ترديد نشيد الثورة سبع مرات متتالية من بدايته حتى النهاية ، ثم هدأت بعد ذلك ، واستسلمت لنوم لذيذ لم تسعد بمثله من قبل !

وفي الفجر استيقظت وهي فخورة بحريتها الجديدة وبانتصار ثورتها ، وتوجهت لمراعى المزرعة ، وأعتلت فيها ربوة عالية تشرف على المنظر الكامل للمزرعة كلها ، وفي نشوة بالغة كانت تجرى وتقفز وتلقى بأجسادها على الحشيش المبلل بقطرات الندى ! وتشم رائحة التراب سعيدة بشذاه المنبعث ، ثم طفقت بعد ذلك تجول في أنحاء المزرعة وهي تتأمل ببالغ الإعجاب الحقول المحروثة والدريس ، وأشجار الفاكهة والبركة ، وكأنها لم تسعد بجمال هذه المناظر من قبل ؛ فهي اليوم فقط قد صارت ملكاً خالصاً لها !

ثم توجهت الحيوانات بعد ذلك إلى المنزل الذي كان يقطنه مستر جونز ، وفي قلبها رهبة تكاد تشنها عن الدخول ، ولكن سنوبول ونابليون فتحا الباب بكتفيهما واقتحا المنزل تتبعها بقية الحيوانات واجفة تمشى على أطراف أصابعها وهي تنتقل من حجرة إلى أخرى وكأنها تحشى المجهول الذي يترىص بها ، وتهامس بإعجاب مما تشاهده من مظاهر الأبهة والترف المتمثلة في الأسرة ، والمراتب ذات الريش ، (والرايا) والأرائك والأبسطة البلجيكية ورف المدفأة الفاخر تعلوه صورة الملكة فيكتوريا !

وحين همت بالخروج من المنزل بعد جولتها اكتشفت غياب المهرة مولى فعادت لتجدها محتبئة بحجرة النوم الرئيسية ، وكانت تشح بشريط أزرق من مخلفات مسز

جونز ، وتنظر لنفسها في المرآة رائحة غادية وهي في أشد حالات الإعجاب بنفسها
مما أثار موجة من السخط عليها ! ثم اتجهت بعد ذلك إلى مطبخ المنزل ، وأخرجت
لحم الخنزير المقدد لتواريه بالتراب في مشهد حزين ، كما حطم بوكسر برمبل
الجمعة !

وفيا عدا هذا فقد اتفقت جميعاً على الاحتفاظ بالمنزل كما تركه مستر جونز
كمتحف لا يليق بالحيوانات سكناه !

وبعد الفطور استدعى سنوبول ونابليون سائر الحيوانات ، وخطب فيها سنوبول
مخدراً من المهام الملحة التي عليها إنجازها ، وقد اقتربت الساعة من السادسة
والنصف صباحاً وإن عليها البدء في حصاد الدريس ! غير أنه استرعى أنظارها إلى
أن له معها حديثاً قبل أن تتوجه إلى الحقل ؛ وقد أعلن عليها أن جميع خنازير
المزرعة قد أصبحت تحسن القراءة والكتابة بعد أن تعلمت ذلك من كتب مستر
جونز القديمة ، وكذلك طلب منها التوجه إلى بوابة المزرعة ، على حين كان نابليون
يحمل علب طلاء من اللونين الأسود والأبيض ، وأمام البوابة أمسك سنوبول
بالفرشاة في شق ظلفه باعتباره أحسن من في المزرعة خطأً وأعرفهم بالكتابة ؛ ثم
شطب عن اسم المزرعة القديم «مانور» ، وكتب بدلاً منه «مزرعة الحيوانات»
وهكذا أصبح للمزرعة اسمها الجديد ! ثم اتجهت الحيوانات بعد ذلك إلى مباني
المزرعة ، وطلب سنوبول ونابليون إحضار السلم ، وأسند السلم إلى الحائط الخلفي
للحظيرة الكبيرة ذلك الحائط الذي أكسبه الدخان المتصاعد لوناً أسود ، ثم أعلن
الخنثيران سنوبول ونابليون أنهما قد توصلا في الأشهر الثلاثة الأخيرة إلى اختصار
المذهب الحيواني الجديد الذي بشره ماجور في وصايا سبع جمعت جوهر التعاليم ،
وأنهما قد أزمعا كتابتها على الحائط لتصبح نبراساً للحيوانات تتمثل به وقانوناً تلتزم

بنصوصه ! وبشيء من الصعوبة اعتلى سنوبول السلم يساعده في ذلك سكويبر ويحمل له علب الطلاء ، وابتدأ في الكتابة بحروف واضحة من الطلاء الأبيض يمكن قراءتها من بعد ثلاثين (ياردة) على الحائط الأسود وكانت كالأتي :

الوصايا السبع

أولاً : كل من يمشي على رجلين اثنتين إنما هو من الأعداء !

ثانياً : كل من يدب على أربع أوله جناحان إنما هو من الأصدقاء !

ثالثاً : غير مسموح للحيوانات بارتداء الملابس !

رابعاً : غير مسموح للحيوانات بالنوم على الأسرة !

خامساً : غير مسموح للحيوانات بشرب الخمر !

سادساً : على الحيوان ألا يقتل حيواناً آخر .

سابعاً : كل الحيوانات سواسية .

وبرغم أن هذه الوصايا قد دونت بخط أنيق فإن كلمة صديق كتبت على سبيل الخطأ المهجائي « صدق » كما كتب حرف السين مقلوباً ، وما عدا هذا كانت كتابته صحيحة . وقد أعاد سنوبول قراءة الوصايا على الجميع بنداً بنداً ، وقد حظيت الوصايا السبع بموافقة الحضور عليها بالإجماع ، وقد حفظتها الحيوانات الذكية في التوعن ظهر قلب .

ثم صاح فيها سنوبول بعد أن ألقى بالقرشاة طالباً منها التوجه إلى العمل مذكراً لها أن أمامها عملاً ضخماً يقع على عاتق الحيوانات أن تؤديه خيراً من جونز وعصابته من الآدميين ! وفي هذه الأثناء سمعت الحيوانات خواراً شاكياً من البقر التي كان

يبدو عليها القلق ، واتضح أنها لم تكن قد حلبت منذ أربع وعشرين ساعة ، وكانت تشكو أن ضروعها تكاد تتمزق ، وبعد شيء من التفكير أحضرت الخنازير الدلاء وقامت بحلب البقر بنجاح . فلأ اللبن الدسم خمساً منها ، وتساءلت الحيوانات عن مصير هذا اللبن الذي أثار فيهم شهوة الجوع ، وألححت الفراخ أن مستر جونز اعتاد أن يمزج العلف الخاص بها بشيء من اللبن !

وعندئذ صاح فيها نابليون الذي جمع دلاء اللبن قريباً منه أن على الحيوانات ألا ترهق نفسها في التفكير فيما لا يعينها ، وأن عليها أن تتجه مباشرة إلى الحقل لجمع المحصول الذي أصبح يشكل مسئوليتها الرئيسية ، وصاح فيها : أيها الرفاق تقدموا ، فسأتبعكم بعد قليل . وانتشرت الحيوانات في الحقل للعمل ، وحينما عادت إلى المزرعة كان اللبن قد اختفى !

الفصل الثالث

تعبت الحيوانات وكدحت كما لم تكدح من قبل في جمع المحصول ، وقد كوفئت على هذا بمحصول وافر ، ولم يكن العمل بالحقل سهلاً كما كانت تتصور ، فقد كانت أدوات الزراعة والحصاد مصممة لاستعمال الإنسان وحده ، وكان من العسير على الحيوانات الوقوف على أرجلها الخلفية ، وإمساك الأدوات بالأرجل الأمامية ، ولكن الخنازير ذلت مثل هذه الصعوبات بذكائها وحسن تصرفها ؛ كما كانت الخيل على علم تمتاز بجبايا العمل بالحقل ، وطرق الجرف والحش خيراً من جوائز نفسه أوجاله !

وقد انعقد للخنازير لواء الرعامة نظراً لما تمتاز به من ذكاء ، وقد تخصصت في أعمال الإدارة والإشراف ، وتركت العمل الحقل للحيوانات الأخرى ، وكان بوكسر وكلوفر يجران آلات الجرف والحراث والحصاد ، على حين كانت الخنازير تطلق صيحات التشجيع للحيوانات الأخرى حاثه لهم على العمل ، وقد انخرطت جميعها في عمل دائب كلٌّ وفق طاقته حتى البط والدجاج ؛ فقد كان يحمل ما يستطيعه من الدريس بمناقيره !

وبرغم ضخامة المحصول فقد انتهت الحيوانات من جمعه خلال يومين وهي فترة بسيطة بالمقارنة بالوقت الذي كان يستغرقه العمل في الماضي ، وبدون فاقد أيضاً ؛ فقد عمد الدجاج والبط إلى جميع ما كان يتطاير من الدريس ، ولم تسرق الحيوانات من المحصول قسمة واحدة !

وانتظم العمل كالساعة طوال الصيف ، وكانت الحيوانات فى منتهى السعادة هنيئة بالطعام الذى زرعتة وحصدته بنفسها وأصبح كله لها بعد أن كان يتفضل عليها سيدها الآدمى المترفع بالترز القليل منه !

وهكذا عم الخير بعد أن اختفى من بينها ذلك الإنسان الطفيلى العديم الجدوى ! والأعجب أن أوقات راحتها وفراغها قد زادت على رغم كل هذه الأعمال التى تقوم بها !

غير أن حداثة عهد الحيوانات بالزراعة والإدارة أوقعتها فى كثير من المشاكل : فثلاً فى موسم الحصاد - لم يكن لديها آلة لدراس القمح ، وبذلك لم يكن أمامها إلا اتباع الأسلوب القديم وهو مداومة المشى على القمح حتى يفرك ثم ينفخ التبن بعيداً ، وكان بوكسر بعضلاته الجبارة عوناً لها فى كل ما يطرأ من متاعب ، وكان يبدل من الجهد أضعاف ما كان فى عهد مستر جونز الغابر ، وهو الجهد الذى ربما عجزت عنه ثلاث خيول مجتمعة !

وفى واقع الأمر فإن أغلب العمل كان يقع على كاهله ، يؤديه ببساطة بين إعجاب جميع رفاقه من الحيوانات : فكان يقضى جل وقته منذ بزوغ الشمس حتى غروبها بين جر ودفع حيث يدعوه الواجب . وقد عقد بوكسر مع أحد الديكة اتفاقاً ليوقظه قبل موعد العمل المقرر للآخرين بنصف ساعة على سبيل التطوع ، شعاره فى ذلك «سأعمل أكثر» يردده كلما ألتمت به أو بالمرعة ضائقة أو صعوبة . أما الحيوانات الأخرى فقد كانت هى أيضاً تؤدى واجبها كاملاً ، كلٌ وفق طاقته بوازع من إخلاصها : فعلى سبيل المثال فإن الدجاج والبط أنقذ كثيراً من المحصول المضاع بجمع الأعواد المتطايرة : كما كفت جميع الحيوانات عن السرقة وامتنعت عن الشكوى من مقرراتها الغذائية وكذلك كفت عن العراك والعض والغيرة التى

كانت تسود المزرعة في عهدها البائد ! ولم تتعاس إحداها عن العمل إلا
كانت تستيقظ بعد مواعيد العمل ، وتنسحب قبل نهايتها منتحلة شتى الأعدار ،
وكذلك كانت تصرفات القط مثيرة للشك ، فقد كان يحتجى عند بداية العمل ،
ثم لا يظهر (ثانياً) إلا عند أوقات انتهاءها وعند الأكل وكأن شيئاً لم يحدث ! وكان
يبدى أجمل الأعدار ويوم بإخلاص إذا ما عوتب على مسلكه ! أما بنيامين الحمار
العجوز فإنه لم يتغير بعد الثورة : يؤدي عمله كما اعتاد أداءه دائماً بأسلوبه القديم
نفسه في العناد والبطء ، لا يتنصل مما يعهد إليه من عمل ، كما أنه لا يتطوع أبداً
بالمزيد ! أما بخصوص معتقداته المذهبية فإنه كان يبدى تحفظاً شديداً ، ونادراً
ما يبدى رأيه صراحة : فإذا ما سئل عن رأيه في العهد الجديد في ظل الثورة فإنه
كان يتخلص من السؤال بجواب لا يكاد يمت إليه بصلة : كأن يقول : إن حياة
الحمير مديدة ، من منكم شاهد حماراً نافقاً ، وكانت رفقته من الحيوانات قد
أنست لأسلوبه هذا في المراوغة !

كانت أيام الآحاد هي العطلة الأسبوعية ، يقدم فيها الفطور في ساعة متأخرة ،
فإذا ما فرغت الحيوانات ابتدأت بعد ذلك في أداء طقوس اعتادت أداءها في تلك
العطلات ، فهي ترفع علماً أخضر في الصباح كان مستر جونز يستخدمه مفرشاً في
الزمن الماضي ، ثم زينه سنوبول بحافر وقرون . وقد شرح لها سنوبول دلالات اللون
والرمز فقال :

إن اللون الأخضر يرمز لحقول إنجلترا ، أما الحافر والقرن فهما رمز لجمهورية
الحيوان التي هي النواة للجمهورية الكبرى إذا ما انقلب الحكم الإنساني كله في
إنجلترا !

وبعد رفع العلم وتحيته تتجه الحيوانات إلى الحظيرة الكبرى ، ثم تنخرط في ندوة

تناقش فيها أعمال الأسبوع القادم . ويتم الاتفاق عليها بعد أخذ الأصوات ، وكانت الخنازير عادة هي صاحبة الرأي والاقتراحات ، ثم تعرض هذه المقترحات بعد ذلك للاقتراح بين عامة الحيوانات الأخرى !

وكان سنوبول ونابليون هما ألمع حيوانات المزرعة رأياً وأكثرها نشاطاً في هذا المجال وإن لوحظ أن الاثنین قلما يتفقان : فإذا ما أبدى أحدهما رأياً وحظى بالموافقة فإن الآخر يثير خلافاً على تفاصيله : فثلاً حينما اتفق على تخصيص مرعى للمسنين من الحيوانات خلف حديقة الفواكه ، دب الخلاف بينهما حول السن التي يتاح له أن يستفيد فيها بهذا المرعى !

وفي ختام الاجتماعات ترتل الحيوانات نشيد « يا وحوش إنجلترا » أما بعد الظهر فقد كان يخصص للنتزه !

اتخذت الخنازير من مخزن معدات المزرعة مركزاً لقيادتها ، تدرّب فيه على شتى أعمال المزرعة كالنجارة والحداة وجميع ما يلزم المزرعة من حرف توصلت إلى مبادئها عن طريق الكتب التي تركها مستر جونز ! كما تفرغ سنوبول بلاكلل لتأليف لجان عمل : فلجنة من الدجاج لشئون البيض ، ولجنة الذبول النظيفة من البقر ، ولجنة الوحوش البرية بغرض استئناس الفئران والأرانب ، وكذلك تكونت لجنة الصوف الأكثر بياضاً من الغنم ؛ كما كونت لجان أخرى لمحو الأمية !

ولم تصادف مثل هذه اللجان كثيراً من التوفيق : فقد استمرت الحيوانات البرية على سيرتها الأولى من التوحش ، وكانت تتسم بالأناية والاستغلال إذا ما أحسنت معاملتها ! وقد ساهم القط في لجنة ترويض الوحوش البرية ، وكان غاية في النشاط في هذا المجال ، فظالما شوهد وهو يبحث العصافير البعيدة عن متناوله على التآخي والإيمان بمبادئ الثورة ! وإن ظلت جهوده في هذا الصدد لم تكمل بالنجاح ! ومع

ذلك فقد حققت لجان محو الأمية قدراً كبيراً من التقدم : فعندما ما أقبل الخريف كانت بعض الحيوانات قد أحرزت قدراً طيباً من التعليم : فالخنازير صارت على دراية تامة بالقراءة والكتابة : كما كانت الكلاب قادرة إلى حد ما على القراءة وإن تركز اهتمامها بصفة خاصة على الوصايا السبع ، وكانت العتزة موريل أكثر منها إجادة لأصول القراءة وعادة ما تقرأ في المساء لريمقاتها طرفاً من أخبار الصحف القديمة التي كانت بالمرعة !

كما كانت درجة إجادة بيامين للقراءة تضارع مقدرة الخنازير ، وإن كان عازفاً عن إبراز موهبته في ذلك الشأن . وكان يردد دائماً أنه على حد علمه لا يجد في الدنيا شيئاً يستحق عناء البحث والقراءة . كما تعلمت كلوفر حروف الهجاء منفصلة التركيب وإن عجزت على استيعابها في كلمات أو جمل مفيدة . أما بوكسر فقد توقفت قدرته الذهنية عند الحروف الأولى الأربع أ ، ب ، ج ، د ، وكان يرسم هذه الحروف على التراب بحافره الكبير ، ثم يحاول جاهداً أن يتذكر ما بعدها من حروف وهو يهز رأسه بعصبية ؛ وتميل أذناه إلى الخلف دون أن يحالفه التوفيق ، فإذا ما وفق مرة في تذكر قليل من الحروف التي تليها فإن ذاكرته تكون قد لفظت الحروف الأولى التي طالما أنهك ذهنه في حفظها ؛ ولذلك فقد قرر بلا رجعة التوقف عند حروفه الأربعة الأولى .

أما المهرة مولى فلم تكن لتقبل على الدراسة ؛ ولا تعرف من الحروف إلا تلك المكونة لاسمها ، تظل تحفظها على أوراق الشجر المتناثرة ، ثم تنثر الزهور على مخلوطاتها ، وتظل تحظر بينها بدلال جيئة وذهاباً !

أما الحيوانات الأخرى فلم تستطع أن تحفظ حرفاً واحداً بعد حرف الألف . كما عجزت الغنم والحيوانات التي على شاكلتها من الغباء كالديجاج والبط عن حفظ

الوصايا السبع حفظاً صحيحاً ، ومن أجل ذلك فقد عمد سنوبول إلى اختصار الوصايا في حكمة واحدة هي « ذوات الأربع أخيار ! ذوو القدمين أشرار ! » وهي خلاصة المذهب الحيواني في رأيه ، تعصم الحيوانات التي تعيها من الوقوع تحت التأثير الإنساني ، وقد احتجت الطيور على هذا الاختصار الذي لم يتضمنها - كالوصايا السبع - بنص صريح ؛ فهي لا تدب على أربع أرجل ، ولكن سنوبول جادها في ذلك شارحاً لها أن أجنحة الطيور إنما هي من قبيل أجهزة الحركة والانطلاق ، وليست أيدياً للإمساك واقتراف الإثم كالإنسان ؛ ولذلك فإنها تعتبر أرجلاً !

ولم تكن الطيور لتفهم فحوى هذا الجدل المنطقي ، إلا أنها تقبلت هذه الفكرة في صورتها البسيطة ، وعمدت إلى تعلم الوصية التي جمعت فأوعت ، وظلت تردد لأنفسها لساعات طوال دون كلل أو ملل « ذوات الأربع أخيار ! وذوو القدمين أشرار ! » .

ظل نابليون غير مهتم بلجان سنوبول مدعياً أنه لا جدوى في تعليم الحيوانات الكبيرة السن وأن الاشتغال بذلك إضاعة للجهد والوقت ، والرأى عنده أن الحيوانات الصغيرة السن أولى بالتدريب والتعليم !

وبعد موسم الحصاد وضعت الكلبتان جيسي وبلوبل تسعة جراء ، وحينما بلغت هذه الجراء سن الفطام أبعدها نابليون عن الكلبتين واستحوذ عليها ليتولى بنفسه مسئولية تعليمها وقد عزلها عن بقية حيوانات المزرعة في حجرة مهجورة تعلو مخزن الأدوات ، لا يمكن الوصول إليها إلا بسلم ، وسرعان ما نسيت الحيوانات أمر وجودها ، وانشغلت الحيوانات في أمور جديدة : فقد فطنت أخيراً إلى سر اختفاء اللبن ، وعرفت أن الخنازير تختص به في أكلها ، وكذلك كان الأمر بالنسبة لبواكبر

محصول التفاح : فقد أصدرت الخنازير أمرها بجمع ما تقذفه الرياح منه وتقديمه لأكل الخنازير وحدها ، وقد أثار هذا التمييز سخط الحيوانات : فقد كان المفهوم أنه سيوزع بالتساوى ، إلا أن الخنازير كانت قد أجمعت رأيها على هذا القرار بدون استثناء بما في ذلك سنوبول ونابليون معاً ، فلم تجد الحيوانات بدءاً من الإذعان . وقد بعثت الخنازير سكويلر مندوباً عنها لإقناع الحيوانات بشرعية هذا الإجراء فأمر بجمعها ثم خطب فيها قائلاً :

أيها الرفاق : حاشى لكم أن تظنوا أن مبعث هذا الإجراء - من قبيل الأثرة ؛ فإن كثيراً من الخنازير لا تطيق طعم اللبن أو التفاح ، وإننى شخصياً من هذه الزمرة ! إلا أننا مضطرون لذلك اضطراراً فإن الغرض الحقيقي وراء هذا القرار هو حفظ صحتنا معشر الخنازير وفقاً للأصول الطبية التي نَحْم تقديم مثل هذه الوجبات إبقاء على طاقتنا الذهنية حتى نتمكن من مواصلة أعمالنا في التنظيم والإدارة والأعمال المناطة بنا والتي تعتمد عليها المزرعة ، فكما ترون أيها الرفاق : من أجلكم أنتم نشرب نحن اللبن ونأكل التفاح ! ألا تعلمون ما الذى يمكن أن يحدث لكم إذا ما فشلت الخنازير في مهامها ؟

إن جونز يعود ثانياً ، نعم جونز بنفسه أيها الرفاق ! وكان يخطب وقد أخذه الحماس فهو يهز ذيله على حين يتفرض من جانب لآخر ! واستطرد : من منكم أيها الرفاق يرغب في عودته ؟ . وبالتأكيد لم تكن بين الحيوانات من تقبل هذا ؛ ولذلك فقد أسرع بالموافقة على قرار الخنازير في ضوء هذا الشرح الذى أوضح ضرورة المحافظة على صحة الخنازير موفورة وتخصيص اللبن لها ؛ وكذلك بواكير التفاح بل محصول التفاح كله عند نضجه ! .

الفصل الرابع

في أواخر الصيف ترامت الأنباء بأحداث مزرعة الحيوانات حتى غطت نصف مساحة إنجلترا ، وفي كل يوم كان سنوبول و نابليون يرسلان حملات دعائية عن طريق الحمام إلى سائر الحيوانات ، يحمل لها رسالة الثورة ويعلمها نشيد الثورة ياوحوش « إنجلترا » وفي ذلك الوقت كان مستر جوتز قابلاً في حانة « الأسد الأحمر » في ويلنجدون يبث شكواه لأي إنسان يقبل إضاعة وقته بالاستماع إليه عن حيوانات مزرعته الغبية التي لا تصلح لشيء ، ويرغم ذلك فقد استولت عليها ! وعادة ما كان الزارعون يتعاطفون ومستر جوتز وإن لم يُبدوا أول الأمر اهتماماً جدياً بمساعدته ، بل إن كثيراً منهم كان يحاول أن يصطاد في الماء العكر مستفيداً من مأساته التي يظل يرددتها !

وكان من حسن حظ الحيوانات الثائرة - أن جارها صاحبي المزرعتين المحيطتين بها كانا دائماً على علاقة سيئة بعضها ببعض .

وكان صاحب المزرعة الأولى مستر بلنكنجتون واسم مزرعته فوكس وود ، وكانت متسعة الرقعة إلا أنها مهملة وبدائية في إدارتها : كما كانت أشجارها معمرة ، ومراعيتها قد دب فيها التلف ، وكذلك كانت أسوارها في أسوأ حال ، وكان مالكيها مستر بلنكنجتون من الأعيان المرفهين الذين يقضون جل وقتهم في الصيد والرحلات !

أما المزرعة الأخرى بنشفيلد فقد كانت أصغر حجماً وأحسن إدارة ، يملكها

مستر فردريك وهو رجل سبى المعاملة له الكثير من المنازعات القضائية ، متشدد ذو دهاء . وكان الجاران خصمين لدودين وعلى خلاف دائم ولو تعرضت في سبيل ذلك مصالحهما الخاصة لأبلغ الضرر ! ولما دبت الثورة في مزرعة مستر جونز التي تجاوزهما فقد خشيا تمرد حيواناتها ، ولذلك فقد كانا شديدي الحرص على إخفاء ما يتعلق بهذه الثورة عنها ، وكانا يتظاهران في أول الأمر بعدم الاهتمام بانقلاب الحيوانات ، ويسخران من فكرتها ، وكانا في قرارة نفسيهما متيقنين من فشل الثورة ، وأنها لن تدوم أكثر من أسبوعين ، وأنها ستنتهي حتماً حينما تشرف هذه الحيوانات على الموت جوعاً ، وكانا يصران على تسمية هذه المزرعة باسمها القديم مانور ولا يطبقان ذكر اسمها الجديد «مزرعة الحيوانات» !

ولما تم نجاح مزرعة الحيوانات ولم تتحقق نبوءة الجارين في فشلها السريع ابتداء الجاران في التودد بعضها إلى بعض وأخذوا يشعان أشع الإشاعات عن مزرعة الحيوانات ، وكيف أن الحيوانات بها قد رجعت إلى سيرتها الأولى في التوحش . فأصبحت تأكل بعضها بعضاً ؛ كما أصبحت الإناث فيها مشاعاً لجميع الذكور ! وأن مثل هذه الأحداث إنما هي في رأيها النتيجة المنطقية للخروج على ناموس الطبيعة !

غير أن مثل هذه الشائعات لم تجد صداها بين الحيوانات في جميع المزارع الأخرى التي كانت تفخر بالثورة وتبته إعجاباً . حتى إنها كانت تنسب إليها أجاداً خيالية ، ودبت حالة من التذمر والعصيان بين الحيوانات في عموم البلاد كلها ؛ فقد توحشت الثيران التي كانت طيبة ، وحطمت الأغنام أسوار مزارعها ، والتهمت البرسيم عنوة ، كما رفضت الأبقار الاستسلام للحلابين ، وقذفت بالدلاء بعيداً . وأصبحت خيل الصيد عنيدة تمتنع عن القفز على الحواجز ؛ فهي تتوقف

أمامها فجأة ملقبة براكيها على الأرض في الجانب الآخر من الأسوار ! وذاع نشيد الثورة « يا وحوش إنجلترا » بسرعة مذهلة ، ولم يستطع الآدميون كبح جراح غيظهم عند سماعه وإن تظاهروا باستخفافهم بمحتواه ! وزعموا أنه غاية في الثقافة بحيث إنهم يدهشون لتعلق الحيوانات به . وكانوا يجلدونها في الحال إذا ما ضبطوها متلبسة بالغناء ! ورغم هذه الإجراءات الصارمة فإن سرعة انتشار النشيد لم تتوقف ، فالعصافير كانت لا تني عن ترديده من فوق الأشجار المحيطة بالمنازل والمزارع . والحمام يشدو به فوق أشجار الدردار ، وفي أبراج الكنائس كانت الطيور تغني به ؛ حتى أصبح النشيد ينغص على البشر حياتهم ، وينذرهم بمصيرهم المحتوم !

وفي أوائل أكتوبر حينما فرغت الحيوانات بمزرعة الحيوانات من حصاد الخنطة وتاهبت لدراسها - إذا بها في ذات يوم تبصر بالحمام وهو يطير إليها بسرعة ويحط بفناء المزرعة وينذرها - وهو في حالة فرح شديد - بأن جونز ورجاله وستة آخرين من مزرعتي فوكس وود وبنشفيد قد دخلوا عبر البوابة الكبيرة ذات العوارض الخمس وهم يتجهون في طريقهم إلى مباني المزرعة يقودهم جونز وهو مدمج بالسلاح ومن الواضح أنهم يحاولون استعادة المزرعة !

ولما كان مثل هذا الهجوم متوقفاً فإن جميع الترتيبات كانت معدة لصدّه ، وكان سنوبول قد قرأ كتاباً قديماً بالمزرعة عن الخطط الدفاعية في معارك يوليوس قيصر ، ووزع في ضوءه خطة الدفاع وأدوار المدافعين ، وعندما أصدر سنوبول أمره بالتنفيذ كان كل في موقعه ، وحين اقترب الرجال من مباني المزرعة شن سنوبول هجومه الأول : فقد حومت خمس وثلاثون حمامة فوق رؤوس المهاجمين وعلى ارتفاع منخفض وهي تلقي بقاذوراتها عليهم ، وبينما الرجال يتعجبون لهذا الهجوم المفاجئ - خرج عليهم الإوز من مكانه خلف السور وهو بعضهم بوحشية في

عضلات أرجلهم ، ولم يكن مثل هذا الهجوم الخفيف إلا من قبيل المناوشات التي تسبق المعركة بغرض إيقاع الارتباك في صفوف المهاجمين ! وقد صد الرجال هجوم الإوز والحمام بعصيهم الغليظة بسرعة وسهولة ، عندئذ شرع سنوبول في تطبيق خطة الهجوم (الثانية) ؛ فقد خرج بنيامين وموريل وجميع الغنم يتصدرهما سنوبول ، وقابلت الرجال بالنطاح والنخس والرفس من كل صوب وفي كل مكان ولكن الرجال قد تمكنوا أيضاً من صدها بعصيهم وأحذيتهم ، وبصرخة من سنوبول متفق عليها كإشارة انسحاب فرت الحيوانات إلى فناء المزرعة !

وهلل الرجال بالنصر السهل السريع ؛ فقد غرهم فرار الحيوانات أمامهم ، وانطلقوا يتعقبونها بغير نظام ، وكان ذلك ما يرمى إليه سنوبول تماماً ، وما كاد الرجال يدخلون إلى الفناء حتى خرجت عليهم فجأة الحیول الثلاث والبقرات الثلاث وبقيّة الخنازير التي كانت محتبئة بمكمنها في حظيرة البقر ، وقطعت عليهم خط الرجعة ، وأعطى سنوبول إشارة الهجوم ، وانطلق بنفسه هاجماً على مستر جونز الذي لمحه فبادره برصاص بندقيته وأصابه بإصابة سطحية في ظهره ؛ كما أصابت رصاصته الطائشة نعجة فأردتها قتيلاً . وبدون تردد وبرغم إصابته قذف سنوبول بكل ثقله على قدمي جونز الذي انكفأ على وجهه في الروث على حين طارت بندقيته بعيداً عن يديه !

أما المنظر الذي كان رهيباً حقاً فهو بوكسر الذي أقعى على رجله الخلفيتين ضارباً أعداءه برجليه الأماميتين ذواتي الحدوات الحديدية ، وقد أصابت ضرته الأولى جمجمة عامل إسطليل من مزرعة فوكس وود ، فانطرح على وجهه أرضاً في الوحل لا أثر فيه للحياة ! وكان لهذا المنظر أثره على بعض الرجال الذين انتابهم الذعر ، فألقوا بعصيهم وهم يحاولون الفرار ، وما لبثت الحيوانات أن انطلقت تعدو

في إثرهم في فناء المزرعة وهي تعضهم وترفسهم وتنطحهم وتدوس من يقع منهم على الأرض ! وكان كل حيوان منها يمارس طريقته الخاصة في الانتقام ! وكذلك فقد قفز القط من فوق السور على كتفي رجل من رعاة البقر وأنشأ أظفاره في عنقه مما جعله يصرخ بشدة ! وعند اللحظة الأولى التي استبان الرجال مخرجاً لهم من فناء المزرعة انطلقوا نحو البوابة يبعثون النجاة إلى الطريق !

وهكذا انجلى المعركة بعد خمس دقائق عن فرار الرجال من حيث أتوا يشيعهم الوز (الإوز) بالعض في أرجلهم ! وبقي عامل الإسطبل الذي طرحه بوكسر في الوحل منكفئاً على وجهه ، على حين كان يحاول بوكسر أن يقلبه والرجل لا يبدي حراكاً ، وبدا على بوكسر التأثير الشديد ، وصاح بصوت متهدج : لقد مات ولم أكن أتعمد قتله ! فقد نسيت أن في رجلي حدوة حديدية ! من سيصدق أنني لم أكن أتعمد قتله ؟ وطيب سنوبول خاطره قائلاً : لا عليك من العواطف أيها الرفيق ! فإن الحرب هي الحرب ، ولن تجد في البشر إنساناً صالحاً إلا الموتى منهم ! فأجابه بوكسر وعيناه مبللتان بالدموع : إنني لا أطيق القتل حتى لو كان آدمياً ! ثم صاحت فجأة إحدى الحيوانات : أين مولى ؟ وكانت مولى بالفعل متغيبه طوال المعركة وبعدها ، وانشغلت الحيوانات بأمرها فربما أصابها أو اختطفها أحد من الرجال ، وأخيراً عثرت عليها الحيوانات وهي محتبئة في مخزن الدريس وقد دفنت فيه رأسها من الذعر منذ أن سمعت دوى الرصاص ! وحيناً اطمانت الحيوانات لوجودها سليمة رجعت (ثانياً) إلى الفناء ، وكان العامل المطروح قد اختفى وقد انتهر فرصة غيابها ، ففر بجلده بعد أن أفاق !

واجتمعت الحيوانات بعد ذلك وقد استبد بها الحماس ، تحكى كل منها عن دروها في المعركة ، وبدون إعداد سابق احتفلت احتفالاً حماسياً مرتجلاً بالانتصار ،

ورفعت العلم ، واستمرت في ترديد نشيد « يا وحوش إنجلترا » مرات متتاليات ! كما أقامت جنازة مهيبة للنعجة القتيل ، وقامت بدفنها ، ثم زرعت على قبرها نبات الصبار ! وألقى سنوبول على قبرها كلمة مقتضبة عن وجوب الفداء والتضحية في سبيل الحق والعدالة !

واتفقت بالإجماع على توزيع النباشين الحربية للأبطال من مرتبة « بطل البهائم » من الطبقة الأولى تخليداً للانتصار ، واتفق على منحه لسنوبول وبوكسر ، وكانت الأوسمة عبارة عن حلقات نحاسية كان مستر جوتز يزين بها خيوله عند خروجه أيام الآحاد ، كما اتفق على منح النعجة النافقة وسام « بطل البهائم » من الدرجة الثانية ! وبعد نقاش طويل اتفق على تسمية المعركة التي انتهت بالنصر « معركة زربية البقر » تيمناً (بالزربية) التي اجتبات فيها ، وباغت منها عدوها ! وقد وجدت بندقية مستر جوتز في الوحل ، فقررت الحيوانات استعمالها كمدفع يطلق في المناسبات ؛ كما كان لديها ذخيرة من الخرطوش في مخزن مستر جوتز :
وقررت تثبيت البندقية تحت سارية العلم ، وأن يحتفل بإطلاقها مرتين في العام ، الأولى في ذكرى معركة (زربية البقر) في اليوم الثاني عشر من أكتوبر ، والأخرى في يوم عيد (منتصف الصيف) وهو يوم عيد ثورتها ضد جوتز .

الفصل الخامس

أقبل الشتاء وأصبحت مولى مصدراً للمتاعب أكثر باطراد ، فهي تتأخر عن مواعيد العمل كل صباح ، وتتحلل الأعذار المختلفة : أحياناً بدعوى تأخرها في الاستيقاظ ، وأحياناً أخرى بدعوى أنها تعاني آلاماً شديدة برغم ما تتمتع به من شهية ممتازة عند الأكل ! وكانت تخلق شتى المعاذير لتترك العمل ، ثم تجرى إلى البركة تتطلع طويلاً في صفحة المياه إلى صورتها ! ثم سرت بين الحيوانات إشاعات خطيرة عن صلاتها المريبة !

وبينا كانت مولى تتطلع إلى جمال ذيلها وهي تمضغ الدريس - أقبلت عليها كلوفر وانتحت بها جانباً وهي تنبها أن لديها الخطير من الأمور : فقد شاهدتها من بعيد عند الصباح وهي تنظر نحو السور الذي يفصل مزرعة الحيوانات عن مزرعة فوكس وود ؛ كما شاهدت أحد رجال بلكنجتون يتحدث إليها عبر هذا السور ! وتساءلت كلوفر : ما معنى ذلك يا مولى ؟ وهنا تلجلجت مولى قائلة : لم يكلمني أحد ! . لم أكن هناك ، هذا زور وبهتان ! قالت هذا وهي تشب برأسها ثم تحفر الأرض بخافرها ؛ وقاطعتها كلوفر : انظري في عيني ، هل تقسمين أن هذا الرجل لم يكن يداعب أنفك ؟ فردت مولى وهي تشيح بوجهها : إن هذا ليس صحيحاً ؛ ثم انطلقت تعدو هاربة في الحقل !

ولاح خاطر بذهن كلوفر فانطلقت في صمت إلى مربيط مولى وقلبت القش بخافرها ، فوجدت تحته قطعاً من السكر ولقات من الشرائط المختلفة الألوان ! وبعد

ثلاثة أيام من هذا الحادث اختفت مولى من المزرعة ، ثم علت الحيوانات بعد ثلاثة أسابيع من هروبها بنياً وجودها في الجانب الآخر من بلدة ولنجدون ؛ فقد رآها الحمام وهي مسرحة إلى عربة صغيرة حمراء خارج مبنى بلدية المدينة على حين كان رجل سمين أحمر الوجه يشبه عمال البلدية يداعب أنفها ، ويطعمها بقطع السكر ؛ كما كان عليها سرج أنيق ويزين معرفتها شريط أرجواني ؛ وكانت تبدو عليها معالم السعادة الغامرة ! هكذا قال الحمام ، وبعد ذلك لم يعد أحد بالمزرعة يتحدث بشيء عن مولى !

وفي بناير كان الطقس قاسياً ، وكانت الأرض مغطاة بطبقة صلبة من الجليد ، ولم يعد بالحقل عمل يودى ؛ مما أتاح للحيوانات فرص الالتقاء في اجتماعات طويلة بالحظيرة الكبرى . وكانت تدور المناقشات حول برامج عمل الموسم المقبل . وكان من المسلم به بين الحيوانات أن تترك رسم سياسة إدارة المزرعة إلى الخنازير ؛ لما تتمتع به من ذكاء ! وكانت هذه السياسات تطرح بعد ذلك للتصويت وتقرر بأغلبية الآراء ، وربما قدر لهذا الأسلوب النجاح لولا النزاع القائم والمستمر بين سنوبول ونابليون ؛ إذ يتربص كل منهما بالآخر ؛ فإذا ما اقترح أحدهما زراعة الشعير احتج الآخر بتفضيل زراعة القرطم ؛ وإذا ما قال أحدهما - إن أرضاً معينة تصلح لزراعة الكرنب احتج الآخر بأنها لا تصلح إلا للبطاطس ؛ وكان لكل منهما أتباعه الذين يتاصرونه بحماس عند التصويت ، وكانت لسنوبول دائماً الغلبة عند الاقتراع نظراً لبراعته الجدلية برغم ما يتمتع به نابليون من براعة في التخطيط وحشد الأنصار . وكانت الأغنام تدين له بالزعامة ؛ ولهذا فقد كان يعز إليها بمقاطعة سنوبول في اللحظات الحاسمة بهتاف غريب « ذوات الأربع أخيار ! وذوو الرجلين أشرار ! » . وفي حقيقة الأمر فإن سنوبول كان باحثاً مجتهداً وقد درس باستفاضة أعداداً من

المجالات المتخصصة في أصول الزراعة والتربية الحيوانية سبق أن وجدها في مخلفات مسترجوز ، وكانت لديه مشروعات عدة لتحسين الصرف وأصول التخزين ، وتسميد الأراضي ، وقد قام بوضع خطة معقدة تقوم بتنفيذها جميع الحيوانات بقضاء حاجتها من الروث مباشرة في الأوقات والأماكن الاستراتيجية من الحقل اختصاراً للجهد في عمليات النقل . ولم يكن لنا بليون خطط مثيلة إلا أنه اتهم سنوبول بالتعويق وحب الجدل وإضاعة الوقت !

وكان من أعصف الخلافات بين الختريين ما دار بينها من مناقشة بخصوص مشروع بناء طاحونة هوائية : ففي المرعى الممتد أشار سنوبول إلى بقعة معينة من الأرض قريبة من الربوة بعد أن اختبر تربتها ، وزعم أنها المكان الأمثل لتشييد الطاحونة التي يمكن منها توليد الكهرباء لإنارة الحظائر ولتدفئتها في الشتاء ، كما يمكن بها تركيب منشار كهربى لنشر الأخشاب ، وكذلك مطحنة ، وآلة لدرس الغلال ، وكذلك إدخال آلات الحلب الكهربى ، وهى أمور لم تكن الحيوانات قد سمعت بها من قبل ، فهى تعيش بمزرعة عتيقة ، كل ما بها من أدوات وآلات بدائى للغاية ؛ ولذلك فقد استبدت بها الدهشة وهى تسمع لشرح سنوبول عن آلاته العجيبة التى ستقوم بالأعمال الشاقة بدلاً منها على حين ترعى هى فى سلام وتستغل أوقات فراغها فى الثقافة والتفكير !

وفى غضون أسابيع قليلة كان سنوبول قد انتهى من رسمه لتصميم الطاحونة مستعيناً فى التفاصيل الآلية (الميكانيكية) بثلاثة مراجع قديمة بالمزرعة هى « ألف شىء يمكنك القيام به فى منزلك ، وكل رجل يستطيع أن يبنى بنفسه ، وعلم الكهرباء للمبتدئين » وقد اتخذ سنوبول مكتباً خاصاً لتنفيذ رسومه فى حجرة صغيرة كانت تستعمل قديماً كحضانة للبيض ذات أرضية خشبية ، وكان سنوبول يخلو لنفسه

لساعات طوال بين كتبه ، وبين فتحة ظلفه إصبع من الطباشير يخطط به على الأرض وهو في حالة انفعال شديد ! وبعمرور الأيام تحولت تلك الخطوط إلى رسوم معقدة ذات تروس وأعمدة تملأ نصف أرضية الحجرة !

ولقد كانت الحيوانات وكذلك الطيور تحضر للمرسم كل يوم مرة على الأقل تمنع في الرسم وكان من منغصات حياتها أنها لا تستطيع أن تقرأ رموزه ! أما نابليون فقد أحجم عن الحضور أو مشاركة الحيوانات في اهتمامها ؛ كما أعلن صراحة أنه يعارض فكرة إقامة الطاحونة . وذات يوم دخل إلى حجرة الرسم وتطلع متهمكاً برسوم التصميم ، ودار حولها بثؤدة وتمعن ، ثم توقف في ركن الحجرة ناظراً إليها (ثانية) بطرف عينه ، ثم رفع فجأة إحدى رجليه وبال عليها ، ثم خرج بعد ذلك دون أن ينبس بكلمة !

وكعادة الحيوانات في الخلاف على الرأي فقد انقسمت على أنفسها ما بين مؤيد للبناء ومعارض ، وخصوصاً أن سنوبول نفسه لم ينكر الصعوبات الجمة التي تعترض تنفيذ مشروعه ؛ فإن على الحيوانات أن تحمل الأحجار إلى الموقع ثم تبنيها وفقاً للتصميم ؛ كما أن هذه الطاحونة تحتاج إلى مراوح لكي تعمل ، وكذلك ينبغي إيجاد الأسلاك الكهربائية والمولد الكهربائي (ولم يكن سنوبول قد ذكر الكيفية التي يمكنها بها الحصول على الأدوات الكهربائية) وقد قطع سنوبول على نفسه العهد بالانتهاء من بناء الطاحونة في ظرف عام واحد .

أما نابليون فقد أعرب عن رأي مخالف في ضرورة ترك الكماليات من الأمور إلى الضروريات : كمضاعفة العمل لزيادة إنتاج الحاصلات الغذائية . وقد أبدى تخوفه إذا ما وجهت الحيوانات جهودها في بناء الطاحونة أن ينخفض الإنتاج

الغذائي ؛ ومن ثم تتعرض للمجاعة . وانقسمت الحيوانات إلى فريقين لكل منها شعاره :

الفريق الأول يدعو لمشروع سنوبول الذى يحقق خفض عدد أيام العمل بالأسبوع إلى ثلاثة فقط ، ورفع المعارضون شعار نابليون فى العمل على زيادة الإنتاج . وكان الوحيد الذى بقى على الحياد فى هذه المظاهرات هو الحمار بنيامين الذى كان يشك فى إمكان تحقيق البرنامج الأول من تشييد الطاحونة وما يتبعها من تخفيض ساعات العمل ، وكذلك البرنامج الآخر وإمكان زيادة الإنتاج وكان يقول : إن الحياة هى الحياة بكل ما فيها من شقاء سواء شيدت الطاحونة أو لم تشيد ! .

وبجانب المناقشات العنيفة عن الطاحونة فقد دارت بالمزرعة مناقشات مشيرة حول ضرورة تحصين المزرعة استعداداً لجولات أخرى قد يقوم بها الآدميون لإعادة مسترجونز إلى مزرعته (ثانياً) للثأر من هزيمتهم فى معركة حظيرة البقر ! وكانت الحيوانات ترجح أن يقوم الآدميون بمثل هذه المحاولات بعد أن انتشرت أخبار المعركة ؛ مما أوجد روحاً من المقاومة السلبية بين عامة حيوانات المملكة .

وكما هو الحال دائماً فإن خلافاً قد نشب بين نابليون وسنوبول : فقد كان رأى الأول هو ضرورة جلب الأسلحة وتمارين الحيوانات على كيفية استعمالها على حين كان رأى سنوبول إرسال بعثات دعائية من الحمام ونشر مبادئ الثورة بين الحيوانات الأخرى فى جميع المزارع . واحتج نابليون بأن التسليح أمر حيوى ؛ وإذا ما عجزت الحيوانات عن الدفاع عن أنفسها فإن مصيرها المحتوم آت لا ريب ! وكانت الحيوانات تستمع للرأيين وإن كانت لا تستطيع أن تستقر على رأى منها ؛ فقد كانت فى حالة انسجام وقتى مع كلا المتكلمين حتى ينتهيا من حديثهما .

وأخيراً حل اليوم الذى انتهى فيه سنوبول من إتمام تصميماته ، وفى صباح يوم الأحد اجتمعت الحيوانات بمبنى الحظيرة للتصويت على فكرة ابتداء العمل بالطاحونة ، وبينما كان سنوبول منهمكاً فى عرض أفكاره أخذت الأغنام تقاطعه من وقت لآخر ، ثم وقف نابليون معارضاً وشارحاً أن المشروع محض هراء ! وأنه ينصح زملاءه بالتصويت ضده ، ثم جلس (ثانياً) فى مكانه بعد أن تكلم ثلاثين ثانية غير مكترث بما تركته كلمته من أثر ! وعندئذ قام سنوبول مدافعاً عن فكرته ، وحينما ابتدأت الأغنام فى مقاطعة حديثه صرخ فيها طالباً الصمت وقد قدم عرضاً وافيماً لما يمكن أن تؤديه الطاحونة لرفع مستوى معيشة الحيوانات وتخفيف أعباء العمل فى عبارات رشيقة ، وأطلق العنان لخياله فى المستقبل الذى يحلم به بعد اكتمال البناء وقد استأثر بقلوب سامعيه حينما تكلم عن كيفية الاستعانة بالكهرباء فى المدراس والطحين وإنارة الحظائر وتسخين المياه وتبريدها !

وفى هذه اللحظة الحاسمة وقف نابليون ملقياً نظرة ذات مغزى على غريمه سنوبول . وأطلق من حنجرته نداءً مبجوحاً بنغمة لم يألّفها منه أحد من قبل ! وفى الحال سمع الحضور أصوات نباحٍ مخيف أعقبه دخول تسعة كلاب شرسة إلى مبنى الحظيرة وفى أعناقها أطواق مطعمة بالنحاس ، واتجهت الكلاب إلى حيث يجلس سنوبول الذى فر مذعوراً وماكاد يفلت من أسنانها بقفزة سريعة ! وفى لحظة كان سنوبول يولى الأدبار والكلاب فى أثره على حين تجمعت الحيوانات عند الباب لمشاهدة مجريات الأحداث وهى فى حالة شديدة من الرعب ، وكان سنوبول يوالى الفرار عبر المراعى متجهاً إلى الطريق العام فى أقصى سرعة يستطيعها خنزير ، والكلاب فى أعقابها ، وزلقت رجله فوق ، ثم نهض موالياً العدو ، وقد كاد كلب منها يطبق فكّيه على ذيله . ثم ضاعف سنوبول من جريه ودلف عبر حفرة قرية من

سور المزرعة إلى الخارج ، وكان هذا المشهد هو آخر عهد الحيوانات به ١ .
وفي صمت ورعب زحفت الحيوانات عائدة إلى أماكنها بحظيرة الاجتماع ،
وبعد فترة وجيزة عادت الكلاب (ثانياً) ولم يدر بجلد الحيوانات من أين وردت
هذه الكلاب ؟ ثم أسعفتها ذاكرتها بأن هذه الكلاب إنما هي بعينها الجراء التي
ولدتها جيسى وبلويل والتي عزها نابليون وأخذ على عاتقه مسئولية تربيته ! وبرغم
أن هذه الكلاب لم تكن قد بلغت بعد تمام نموها فإنها كانت في ضخامة الذئب
ووحشيتها ، واقتربت الكلاب من نابليون وهي تهر ذيلها له ، كما اعتادت أمهاتها
أن تفعل في حضور مسترجونز !

ثم اعتلى نابليون كومة من القش في المكان المرتفع نفسه من القاعة الذي اعتلاه
ماجور من قبل تبعه كلابه ، وأعلن أنه منذ هذه اللحظة فإنه يأمر بتوقف اجتماعات
يوم الأحد الصباحية ؛ فهي في رأيه إضاعة للوقت من غير جدوى ؛ وذكر أنه
بخصوص المستقبل فإن شتى المشاكل المتعلقة بالعمل في الحقل ستكون من
اختصاص لجنة من الخنازير تحت رياسته لدراستها في اجتماعات مغلقة على أن تبليغها
فيما بعد .

وأصبح النظام الجديد هو أن تجتمع الحيوانات في صباح أيام الآحاد لتحية العلم
وترديد نشيد « يا وحوش إنجلترا » ، ثم تتلى عليها الأوامر الصادرة بخصوص عمل
الأسبوع كله بلا مناقشات .

وصاحب الرهبة والذهول التي تملكته الحيوانات بعد التخلص من سنوبل أشد
الاستياء لهذه القرارات وربما اعترض بعضها ، وقد كانوا أحرىء أن يعترضوا على هذه
القرارات لو تهاهم صياغة الاعتراض ، حتى بوكسر نفسه ؛ فقد أبدى اكتسابه
وامتعاظه بأن أرجع أذنيه للخلف ، وهز رأسه طويلاً يميناً ويساراً ، وحاول أن

يفصح عن أفكاره ، ولكنه لم يجد في النهاية ما يقوله ، ورغم ذلك فإن بعض الخنازير كانت أكثر إفساحاً عن غضبها ؛ فقد صدرت عن أربعة منها صيحات الاستياء وقد وقفت على أرجلها الخلفية ، وحيناً ابتدأت في عرض وجهة نظرها تحركت الكلاب التي كانت تجلس حول نابليون وصدرت عنها زجيرة عميقة ، فسكتت الخنازير في الحال ، واستسلمت للصمت ؛ ثم انطلقت الأغنام في ثغاء عال تردد شعارها المختار ذوات الأربع أخيار ! ذوو الرجلين أشرار ! ربع ساعة ؛ مما استحالت معه أية محاولة أخرى للاحتجاج !

وبعد انفضاض الاجتماع توجه سكويلر إلى الحيوانات ؛ ليشرح لها الوضع الجديد مبتدئاً بكلامه بأنه على ثقة أن رفيقانه من الحيوانات تفهم تماماً مدى تضحية الرفيق نابليون بقبوله الأعباء الإضافية التي لا بد أن تقع على عاتقه ، وقال لها : لا تصوروا أيها الرفاق أن أعباء الرعامة سهلة أو هينة أو أنها من الأمور التي تبعث على السعادة ! إن الرفيق نابليون هو أول من يؤمن بأن الحيوانات كلها سواسية ، وكان بوده أن يترك لها حرية اتخاذ القرارات إلا أنه يخشى عليها مغبة اتخاذ الحلول الخاطئة ! وتساءل سكويلر : كيف تكون الحال لو أنكم اتبعتم سنوبول وأحلامه المضللة ، وهو كما تعلمون لا يزيد عن كونه مجرماً ؟ وقاطعته إحداها بأن سنوبول قد أبلى بلاءً حسناً في معركة «زريبة البقر» فرد عليها بأن الشجاعة وحدها لا تعنى شيئاً ، فإن صفات أخرى كالإخلاص والطاعة هي أكثر أهمية ؛ واستمر في حديثه فقال : أما بخصوص المعركة فسيحين الوقت الذي فيه تعرفون أن كثيراً من المبالغات قد نسجها الخيال حول دور سنوبول ! إن النظام أيها الرفاق بل النظام الحديدي هو سندنا ؛ فإن أعداءنا يتربصون بنا ، وعند الكبوة الأولى من جانبنا فإنهم سيطبقون علينا ، أيها الرفاق ، هل تقبلون عودة مسترجونز (ثانياً) ؟ ومن غير شك فلم تكن

الحيوانات لترغب في ذلك ، وقد أفحمتها حجج سكويلر وأنه لا بأس من التضحية
بندوات يوم الأحد إذا ما كان في الاجتماعات ما يهدد بعودة جونز وعصابته !
وعندئذ تكلم بوكسر وقال : إذا ما كان الرفيق نابليون قد بعثك بهذه الحجة
فلا شك أنه صادق ، ومنذ ذلك التاريخ فإن بوكسر اتخذ لنفسه شعار : « نابليون
دائماً على حق » بجانب شعاره الخاص « سأعمل أكثر ! » .

ثم أقبل الربيع وابتدأت الحيوانات في حرث الأرض على حين كان المرسم الذى
سبق أن خصصه سنوبول لنفسه مازال مغلقاً ، وقد نسيت الحيوانات كل ما يتعلق
بمشروع الطاحونة بعد أن ظنت أن تلك الرسوم قد محيت من الأرض . وفى صباح
يوم أحد كانت الحيوانات تجتمع في الحظيرة الكبيرة ، لتستمع إلى الأوامر
الأسبوعية ، وقد أصبح برنامج ذلك اليوم يُبتدأ برفع العلم ، ثم المرور في طابور
تنحى فيه الحيوانات أمام جمجمة ماجور العجوز التى كانت قد أخرجتها من قبره ،
وثبتت على قاعدة ، ثم وضعت تحت العلم بجوار البندقية : ثم تدخل بعد ذلك إلى
الحظيرة الكبرى ، ولم تعد الحيوانات تخلو بعضها إلى بعض في اجتماعات تتبادل فيها
الرأى ؛ كما كان يحدث سابقاً ؛ فقد كان نابليون يتصدر المجلس ويجواره سكويلر في
جانب ومينيمس وهو خنزير ضخم في الجانب الآخر ؛ كانت له موهبة ممتازة في
تأليف الأغاني والأشعار وتحيط بالثلاثة الكلاب التسعة على هيئة نصف دائرة ،
على حين تجلس بقية الخنازير خلفها ، أما بقية الحيوانات الأخرى فقد كانت تجلس
في مواجهة نابليون الذى كان يتلو عليها الأوامر الأسبوعية في أسلوب بلاغات
عسكرية ! ثم ينفذ الاجتماع بعد ترديد نشيد « يا وحوش إنجلترا » .

وبعد ثلاثة أسابيع من طرد سنوبول فوجئت الحيوانات ببلاغ من نابليون في
صباح يوم الأحد ينهئها فيه بوجود الابتداء في بناء الطاحونة بدون إبداء الأسباب ،

وقد حذرنا من ضخامة العمل الذى ستقدم عليه ومن وجوب التضحية فى سبيله بما فى ذلك احتمال تخفيض وجباتها الغذائية ! وذكر أن لجنة خاصة من الخنازير قد قُبت فى الأساس الثلاثة الأخيرة لإعداد المشروع الجديد بعد إدخال كثير من التعديلات والتحسينات عليه ، مما يعتمل معه امتداد فترة التنفيذ إلى عامين .

وفى المساء جمع سكويلر الحيوانات ، وذكر لها أنه فى حقيقة الأمر لم يكن الرفيق نابليون معارضاً بتاتاً للمشروع ، بل إن العكس هو الصحيح ، وإن فكرة إنشاء الطاحونة كانت من وحيه هو ، كما أذاع أن الرسوم الخاصة بها كانت قد سرقت من بين أوراقه ، وأن المشروع من بدايته إلى منتهاه إنما هو فى الحقيقة من ابتكاره ! وهنا قاطعته إحداها بقولها : إذا كان الأمر كذلك فقيم إذن كانت كل معارضة نابليون للمشروع ؟ . فحدج سكويلر بنجث وقال : إنكم لا تعلمون بعد أيها الرفاق مدى دهاء الزعيم بكل بساطة ! لقد كان نابليون يتصنع مثل هذه المعارضة : ليتخلص بها من سنوبول ومن تأثيره السيء وأخلاقه الذميمة ! إن ما قام به نابليون هو ما يسمى بالمناورات ! « تاكتيك » ، ثم قال سكويلر : والآن فقد حان وقت العمل بدون إبطاء . وكان سكويلر منفِعلاً ويميل بحسه من جانب إلى آخر : ويهز ذيله بعصبية ، ويطلق ضحكات صاخبة !

ومع أن الحيوانات لم تفهم ماذا كان يعنى سكويلر بلفظ مناورات « تاكتيك » - فإن طريقته فى الإلقاء وما حوله من الكلاب الثلاثة التى كانت تصحبه - لم تدع أمامها من سبيل إلا الاقتناع !

الفصل السادس

كانت الحيوانات تعمل كالرقيق طوال العام ، ولكنها كانت سعيدة ، برغم ذلك لا تحجم عن التضحية وبذل المزيد من جهودها ؛ فهي موقنة أن هذه التضحيات كانت من أجلها ومن أجل ذريتها وليست نهياً للآدميين الكسالى المستغلين ! وخلال فصل الربيع والصيف كانت تعمل ستين ساعة في الأسبوع ، وفي أغسطس أعلن نابليون عن وجوب العمل بعد ظهر أيام الآحاد أيضاً على سبيل التطوع وبمحض الاختيار الحر !

غير أن الحيوانات التي لا تريد أن تتطوع لن يقدم لها إلا نصف وجباتها المعتادة من الطعام ! ومع كل هذا العمل المستمر فإن الحيوانات قد عجزت عن الانتهاء من أداء جميع المهام الملقاة على عاتقها والتي ينبغي الانتهاء منها قبل حلول الشتاء ، ومنها حقلان حان شغلها بالخضراوات في مطلع الصيف إلا أنها كانت قد تأخرت عن ذلك نظراً لعدم حرثها في الوقت المناسب ، ولما كان محصول العام الماضي أيضاً أقل من سابقه فإنه لم يكن من العسير التنبؤ بشتاء شديد القسوة . كما اعترضت الحيوانات صعوبات لم تكن متوقعة في بناء الطاحونة برغم توافر المواد الأولية اللازمة للبناء في المزرعة كالأحجار والرمل والجير إلا أنه كان يتعين عليها تحطيم الأحجار إلى أحجام مناسبة للبناء ثم نقلها إلى موقع العمل . ولم يكن أمامها إلا استعمال المعاول والعتل وهو مالا يمكنها استخدامه نظراً لما يقتضيه ذلك من ضرورة الوقوف على أرجلها الخلفية والإمساك بالآلات بالأرجل الأمامية كما يفعل البشر .

وأخيراً اهتدت الحيوانات إلى فكرة صائبة لتحطيم الأحجار باستخدام خاصية الجاذبية الأرضية : وذلك برفع الأحجار الضخمة من الحجر الذى فى أسفل التل بالحبال تتعاون فى ذلك الحيوانات من بقر وخيل وغنم وربما ساعدتها الخنازير فى أوقات الأزمات ، وكانت تربط الكتل الضخمة من الأحجار بحبال ، ثم تجرها إلى أعلى التل ببطء حتى إذا ما بلغت القمة عادت ، فتركت الحبال لتسقط الأحجار وهى تهشم فى سقوطها إلى السطح ، ثم تقوم بجمع هذه الأحجار الصغيرة ونقلها كلِّ وفق طاقته : فالخيل كانت تجر العربة بعد تحميلها على حين كانت الغنم تحمل ما تطيقه منها ؛ كما كان بنيامين وموريل يستخدمان عربة الأطفال فى ذلك الغرض ، وينقلان الأحجار إلى موقع البناء .

وفى أواخر الصيف كان قد تجمع من الأحجار ما يكفي بناء الطاحونة ، وقد شرعت فى ذلك تحت إشراف الخنازير ! ولم يكن من الممكن إتمام هذا العمل الكبير الشاق لولا معونة بوكسر الذى كانت قوته منفرداً تقابل قوة بقية حيوانات المزرعة مجتمعة ! وكان بوكسر يساهم بالنصيب الأكبر فى رفع الكتل الضخمة إلى أعلى بالحبال يشدها وهو يصعد وتتلاحق أنفاسه بين إعجاب رفاقه ، وطالما نصحته كلوفر بأن يحفظ على نفسه عافيته وألا يسرف فى العمل المضنى العنيف ، ولكن بوكسر كان يصم أذنيه مردداً شعاريه المختارين « سأعمل أكثر » « والحق دائماً فى جانب نابليون » وكأنما كانت تلك الشعارات هى كل ما يملكه من إجابة .

ولقد اتفق مع ديك بالمزرعة أن يوقظه قبل بداية ساعات العمل المقررة بثلاثة أرباع الساعة ، وكان يعمل فى فترات الراحة القصيرة التى كانت تتخلل ساعات العمل ويجر الأحجار وحده . ويحملها إلى الطاحونة . وبرغم هذا الإجهاد الشديد فإن حال الحيوانات لم تكن أسوأ منها فى عهد جونز ؛ كما أن وجباتها بعد

إنقاصها لم تكن أيضاً أقل من المقررات القديمة ! وكانت سعيدة بعملها الذى سيعود عليها بالخير وليس لإطعام حفنة من الآدميين المتكبرين الذين لا يعملون ! ولقد كان إحساسها بالكرامة يخفف عنها العناء وما تلاقيه من الشتاء القارس ؛ كما كان شعورها بتملك المزرعة وما عليها يمنحها من سرقة المحصول وقد وفر ذلك عليها كثيراً من الوقت الذى كان يضيع فى بناء أسبجة حول الحقول لحفظها ، وكذلك فإن الحيوانات كانت أكثر قدرة من الآدميين فى تنقية الحشيش الضار من الأرض !

وعند نهاية الصيف تبين للحيوانات أن أمامها الكثير من الصعاب بخلاف احتمال نقص المحصول ، ونتيجة لذلك فقد باتت وهى تتوقع قضاء فصل شتاء غاية فى القسوة ، وقد تبين أيضاً أن كثيراً من متطلبات الزراعة لم يكن متوافراً لها كالبذور والمخصبات الكيماوية كما كان العمل بالمزرعة يحتاج للبتروال والمسامير والحبال ، وكذلك (بسكويت) الكلاب وبعض الأدوات الأخرى ، وكذلك كان عليها الحصول على مولد كهربى للطاحونة ، ولم تكن الحيوانات قد وجدت حلاً لإيجاد هذه المتطلبات الملحة .

وفى صباح يوم أحد اجتمعت الحيوانات بالحظيرة الكبرى كعادتها لتلقى الأوامر الأسبوعية وإذا بنايليون يعلن عليها قراره فى رسم سياسة جديدة من شأنها إقامة علاقات تبادل بينها وبين المزارع المجاورة ، يمكنها بموجبها الحصول على ما ينقصها ! وقد أوضح لها أن علاقة التبادل هذه بعيدة فى مضمونها وأغراضها عن نطاق التجارة ؛ كما أكد لها أيضاً أن كل ما تحتاج إليه الطاحونة له صفة الأولوية لا بد أن يقدم على أى شىء آخر ! ولذلك فقد أعلن أنه فى سبيله إلى عقد صفقات بيع دريس وجزء من محصول القمح ، وكذلك إذا ما استدعى الأمر فإنه قد يضطر لبيع

كمية من البيض في سوق ويلنجدون .

وأعلن نابليون أن الدجاج سيرحب بمثل هذا القرار على ما فيه من توضيحية من جانبه مساهمة منه في إكمال تشييد الطاحونة ، ومرة أخرى اجتاحت الحيوانات شعور بعدم الارتياح ، ألم تتفق من قبل فيما بينها على حظر التعامل مع البشر أو الشراء بالنقود ؟ ألم تقرر الحيوانات بالإجماع مثل هذه الأسس عقب الانقلاب وطرد مستر جونز ؟ . إن مثل هذه القرارات مازالت عالقة بالذاكرة ، أو ربما خيل إليها أن شيئاً من هذا القبيل مازال عالقاً بالذاكرة ! وحينما وقفت الخنازير الأربعة التي تمثل المعارضة على استحياء فسرعان ما عادت (ثانياً) إلى أماكنها بعد أن وصل إلى سمعها نباح به نبرة التهديد ! .

وابتدأت الغنم في الثغاء بحلجة عالية « ذوات الأربع أخيار ! وذوو القدمين أشرار » وبذلك فقد هدأت الجلسة إلى حين وخضت حدة التوتر التي تميز بها الاجتماع ، ورفع نابليون رجله الأمامية طالباً بالالتزام بالسكون . وأعلن أنه بالفعل قد اتخذ جميع الترتيبات اللازمة لإدخال قراراته المعلنة إلى حيز التنفيذ ! وأنه سيأخذ على عاتقه مهمة الاتصالات مع البشر ، وبذلك فإنه لا يجد داعياً لقيام أى اتصالات بين الحيوانات وبين الآدميين ، كما قرر أنه عقد اتفاقاً بالفعل مع أحد وسطاء ويلنجدون ويدعى مستر ويمبر . وأن هذا الوكيل سيحضر لمزرعة الحيوانات في صباح كل يوم اثنين لتنفيذ التعليمات ، وعندئذ أنهى نابليون حديثه بهتافه المعهود « فلتحى مزرعة الحيوانات » . وبعد أن رددت الحيوانات نشيد « يا وحوش إنجلترا » انفض الاجتماع .

وبعدئذ قام سكويلر بجولة في المزرعة بين الحيوانات يهدئ من نفوسها وهو يؤكد لها أنه لم يتخذ من قبل أى قرار سابق أو حتى مشروع قرار يقضى بعدم التعامل

مع الآدميين ، أو يحظر التبادل النقدي ، وأن الزعم بغير هذا محض خيال أو ربما كان من الافتراءات التي روجها سنوبول ! ثم وجه سكويلر حديثه للمتشككين وسألهم : هل يتذكرون بالفعل شيئاً عن هذا القرار أو أنها كانت أضغاث أحلام ؟ وسألهم كذلك : هل لديهم محضر مكتوب دونت فيه مثل هذه القرارات ؟ ولما لم يكن لدى الحيوانات بالفعل أى قرارات مكتوبة بهذا المعنى فإن حديث سكويلر لا بد أن يكون صحيحاً . وطبقاً للاتفاق المعلن فإن مستر ويمير كان يزور المزرعة فى صباح الاثنين ، وهو رجل قصير القامة ذو سؤائف طويلة ، يمثل المظهر التقليدى للمسارة بكل ما فيهم من خبث وبعد نظر ، وقد أدرك بدهائه أن المزرعة التى تملكها الحيوانات لا بد أن تحتاج بشدة إلى سمسار وأن أرباحه منها لا بد أن تكون مجزية للغاية .

وكانت الحيوانات ترقبه عند مجيئه وذهابه بشيء من التخوف . وكانت تتجنبه كلما أمكن ذلك ، إلا أن منظر نابليون حينما كان يلقى أوامره بعظمة على مستر ويمير الذى كان يقف وهو يستمع إليه باحترام - كان من العوامل التى خففت من شعور الحيوانات بالاستياء من التعامل مع البشر : كما كانت تشعر بالفخر إزاء هذه المواقف .

ولم تعد العلاقات بين البشر ومزرعة الحيوانات متوترة كعندها السابق ، وخفت حدة العداوة الشديدة بينها وخصوصاً أن الآدميين كانوا موقفين أن مصير المزرعة لا بد أن ينتهى إلى الإفلاس بدون أى تدخل من جانبيهم وأن مشروع الطاحونة سينتهى بالفشل الأكيد : إما بانهار بنائها أو بالعجز عن إدارتها واستغلالها ! وبرغم ذلك فقد كان الرجال يعجبون من كيفية إدارة الحيوانات لمزرعتها ، وكان من مظاهر هذا التقدير أن أصبح الناس يطلقون على المزرعة اسم (مزرعة

الحيوانات) بدلاً من اسمها القديم «مانور» .

وكذلك فقد كفوا عن تأييدهم لمستر جونز الذى استسلم للأمر الواقع : وهاجر يائساً إلى مكان آخر .

وفياً عدا زيارات مستر ويمبر فلم يكن بين مزرعة الحيوانات والعالم الخارجى أى اتصال آخر إلا أن بعض الإشاعات كانت تروج احتمال قيام صفقات بين نابليون وبين جاريه مستر بلكنجتون صاحب مزرعة فوكس وود ، وفردريك صاحب مزرعة بنشفيلد .

وفى ذلك الوقت انتقلت الخنازير فجأة لتسكن منزل مستر جونز ، وتذكرت الحيوانات عندئذ قراراً سابقاً كان قد اتخذ يتعارض هو وهذا الإجراء ، وتصدى لها سكوييلر كالعادة لإقناعها ذاكراً لها أن الخنازير تمثل العقل المدبر بالمزرعة ، فلا بد إذن من أن يُنبأ لها مقر هادئ للعمل ! وكذلك فإن كرامة الزعامة تقتضى أن يسكن نابليون منزلاً لائقاً به بدلاً من (الزريبة) (وكان لقب نابليون فى ذلك الحين هو الزعيم !) .

وبرغم وجهة هذا التفسير فإن بعض الحيوانات قد أزعجها ما تردد من أن الخنازير أصبحت تأكل فى المطبخ ، وتجلس فى حجرة الاستقبال ، بل الأدهى من ذلك أنها تنام على الأسرة ! ومع أن بوكسر قد قابل هذه التخريصات بشعاره المألوف « نابليون دائماً على حق » فإن كلوفر كانت تظن أنها مازالت تتذكر أن فى نصوص الوصايا السبع المتفق عليها ما يتعارض هو ونوم الخنازير على السرير ! ولذلك فقد ذهبت إلى الفناء محاولة أن تقرأ مادون على حائط الحظيرة الكبرى من وصايا ، ولما أعجزتها المقدرة على القراءة استعانت بموريل ، وطلبت منها قراءة الوصية الرابعة التى تحظر النوم على الأسرة ، وبصعوبة استطاعت موريل قراءة

ما يأتي : غير مسموح للحيوانات بالنوم على الأسرة بالملاءات !
ولدهشة كلوفر فإنها لم تكن لتتذكر أن الوصية الرابعة كانت تحتوى على لفظ
الملاءات ، ومع ذلك فإدامت هذه الكلمة مدونة على الحائط تدويناً فلابد أن
تكون صحيحة ، وكان سكويلر يمر في هذه اللحظة يتبعه كلبان أو ثلاثة ، فاستطاع
أن يوضح لها الأمور بجلاء قائلاً : ربما قد سمعتم أيها الرفاق أن الخنازير تنام على
الأسرة بالمنزل ! . وماذا يعيهم في هذا ؟ ربما تتخيلون أن الوصايا السبع تنص على
عدم النوم بالسرير ! ثم تسأل عن معنى كلمة السرير ، واستطرد أن السرير بكل
بساطة مكان معد للنوم ، وكذلك فإن كومة القش التي تنامون عليها بالمثل مكان
معد للنوم ولا إثم في ذلك ، ولكن المنع جاء قبل استعمال الملاءات التي يغطى بها
السرير ، وهو إثم جاءت به العقلية الإنسانية الشريرة ! ولذلك فقد نزع الخنازير
الملاءات عن الأسرة قبل أن تنام عليها ، وأبقت البطاطين فقط ، وإقراراً للحق فإن
النوم على السرير مريح جداً ، وهو ما تحتاج إليه الخنازير للراحة والتفكير وتدبير
أمر المزرعة ! ثم تسأل : وما أظن أحداً منكم أيها الرفاق يبخل بالراحة علينا ! .
من منكم يفضل عودة مسترجونز ؟ وقد اقتنعت الحيوانات بوجهات نظر سكويلر
وسلامتها ، ولم تعد بعد ذلك إلى الحديث عن نوم الخنازير بالأسرة ، ثم أعلن بعد
ذلك على الحيوانات أن الخنازير ستستيقظ بعد مواعيد عمل المزرعة بساعة في
الصباح ، ولم يعترض على ذلك القرار أحد !

وبجول الحريف فإن الحيوانات كانت سعيدة برغم ما حل بها من عناء العمل
ونقص الغذاء بعد أن بيع جزء من الدريس والقمح ؛ مما يندر بشتاء صعب
وقاس ! على أنه في سبيل تشييد الطاحونة فإنها كانت على استعداد لاحتمال كل
المصاعب . وكانت قد فرغت من بناء نصفها تقريباً ، وقد كانت تداوم على العمل

بها منتزة فرصة اعتدال الطقس وجفاف الجو وفراغها بعد أن انتهت من جمع المحصول . وكان بوكسر ينتهز فرصة طلوع القمر ليتطوع بالعمل ساعة أو اثنتين في ضوءه . ومع تقدم البناء فإن الحيوانات كانت تطوف به في أثناء فترات راحتها وهي معجبة بضخامته واستوائه وهي لا تكاد تصدق عينها وكان الوحيد الذي لم يشاركها في هذا الحماس هو بنيامين الذي كان يردد دون ما سبب : (إن الحمير تعيش طويلاً !) .

ثم أقبل نوفمبر برياحه الجنوبية الغربية الهوجاء ، وسقطت الأمطار ، فتوقف العمل بالطاحونة . وفي ليلة عاصفة هزت الرياح فيها منزل المزرعة هزاً ، وأسقطت بعض قطع القراميد عن سقفه ، وعند منتصف الليل استيقظ الدجاج على صوت فرقة شديدة تدوى من بعيد ، وفي الصباح حيناً استيقظت الحيوانات تبين لها أن سارية العلم قد تحطمت وأن شجرة الدردار قد اجتمت من فوق الأرض ، وبينما هي تشاهد هذه المناظر إذا بها تسمع صيحات يائسة تنطلق من بعض الحيوانات وقد اكتشفت أن مبنى الطاحونة قد تحول إلى أنقاض ! وهرعت إلى الطاحونة يسبقها نابليون مهولاً وهو الحزير المبعجل الذي اعتاد أن يمشى الهويني . ووقفت الحيوانات واجمة أمام ثمرة جهدها الضائع وآمالها التي تبددت كالحجارة المتناثرة أمامها والتي تعبت في نقلها وبنائها أي تعب !

وكان نابليون يغدو ويروح أمام الأطلال وهو يخفض أنفه إلى الأرض ويشم ثم يعود ليشم (ثانياً) باهتمام بالغ ، وذيله يتحرك من جانب لآخر وهو منتصب إلى أعلى ، وكانت هذه الحركات من اللوازم التي تصاحبه عند التفكير العميق ! وفجأة كف عن هذه التحركات العصبية السريعة ؛ وبدأ على وجهه ما يوحي باكتشافه السر الرهيب ! ثم تكلم فقال بهدوء : أيها الرفاق ، هل تعلمون من وراء هذا

الحادث ؟ وهل تعلمون عدوكم الذى تسربل بالليل ليهدم الطاحونة ؟

ثم صرخ بصوت كالرعد : إنه سنوبول ! إنه هو الخائن الأثيم الذى قام بهذه الجريمة الشنعاء ؛ ليتنقم لنفسه من المهانة التى لحقته عند طرده من المزرعة ! ثم استطرد نابليون قائلاً : أيها الرفاق ، إنه منذ الساعة فإننى قد أصدرت عقوبة الإعدام على سنوبول ، فلمن يأتى به ميتاً أيها الأبطال « وسام البهائم » من الدرجة الثانية ونصف بوشل من القمح ! بل بوشل كامل لمن يأتى به حياً !

وقد صعقت الحيوانات وهى تعجب كيف أن سنوبول قد استطاع أن يجلل يديه بمثل هذه الحيانة ؟ وقد علت منها صيحات الاستهجان ، وتركت لحياها العنان : ماذا ستفعل لو أنها استطاعت أن تمسك به ؟

وبعد قليل من البحث وجدت آثار أقدام خنزير عند الروبة تتجه إلى سور المزرعة ، ثم تخفى عند الفجوة التى سبق أن سقط فيها سنوبول يوم هربه ! ولقد شم نابليون هذه الآثار وعاد ليؤكد أنها لسنوبول الذى يرجح اختبأؤه بمزرعة فوكس وود ! وأعلن نابليون ضرورة الابتداء فى إعادة تشييد الطاحونة فى الحال ، وصاح فى الحيوانات قائلاً : أيها الرفاق ، ليس لدينا وقت نضيقه ؛ فإن العمل يتظرنا ، وسنعمل وسنبني تحت كل الظروف والأوقات وفى كل الأجواء : سطعت الشمس أو أمطرت السماء ! إننا سنلقى درساً على عدونا ، فإلى الأمام أيها الرفاق ، ثم ختم نداءه بهتاف : فلتحى الطاحونة ! ولتحى مزرعة الحيوانات !

الفصل السابع

كان شتاء قارساً ذا جو عاصف ، وقد سقط الثلج ، واستمرت هذه الحال حتى شهر فبراير ، وكانت الحيوانات تبذل كل طاقتها لبناء الطاحونة في موعدها المعلن ، وهي تدرك أن العالم الخارجي يتابع أنباءها ، وأن فشلها سيكون مدعاة لشهامة أعدائها ! ولم يكن الآدميون ليصدقوا المؤامرة المزعومة ، بل يعزون أسباب تهدم البناء إلى رقة غلظ الجدران !

وبرغم أن الحيوانات كانت تؤمن بما لُقِّتَه عن مؤامرة سنوبول - فإنها عند إعادة البناء قد أمرت بتعريض غلظ المباني بحيث يصل إلى ثلاث أقدام بدلاً من الغلظ القديم الذي سبق أن بنيت به وكان ١٨ بوصة فقط ، وكان ذلك يعني المزيد من الحجارة والجهد .

وقد اضطرت في بعض الأوقات إلى التوقف عن العمل حينما غطى الثلج أرض الحجر ، وقد استأنفت عملها حينما توقف هبوط الثلج ، وأصبح الجو جافاً . وفي ظل هذه الظروف القاسية والروح المعنوية المنخفضة - فقد كان لبوكسر ومعه كلوفر أكبر الأثر في رفع الروح المعنوية بضرب المثل الطيب للآخرين في العمل والتضحية ؛ كما كان سكوييلر يلقي على الحيوانات الخطب الرنانة عن وجوب التضحية في سبيل الواجب ، إلا أن هذه الخطب الكثيرة لم تكن في قوة تأثير بوكسر حينما كان يعمل بنفسه ، ويضرب أحسن المثل في التضحية مردداً شعاره المختار : « سأعمل أكثر ! » .

وفي يناير عانت المزرعة من نقص الغذاء ؛ ولذلك فقد خفضت وجبات الخنطة ، واستعوض عنها بزيادة مقررات البطاطس ، إلا أن الحيوانات اكتشفت أن الجزء الأكبر من محصول البطاطس قد أصابه الصقيع بالتلف في مخزنه لتركه بدون الغطاء اللازم من القش ! وقد تميعت البطاطس وفقدت لونها وأصبحت إلا القليل منها غير قابلة للأكل ؛ وبذلك فلم يكن أمام الحيوانات الجائعة إلا التبن والبنجر تأكله لأيام طويلة ، حتى أصبح شح المجاعة يهددها !

وحتى لا يشمت أعداؤها في الخارج ويشيعوا عنها شتى الأكاذيب بعد سقوط الطاحونة فقد عمدت الحيوانات إلى إخفاء حقيقة أمرها بشتى وسائل التعمية ! وكان الناس في ذلك الوقت يرددون أن الحيوانات قد أشرفت على الموت جوعاً ، ودب فيها المرض ، وعادت إلى سيرتها الأولى من التوحش ، وأكل بعضها بعضاً أحياءً وقتل الصغار منها ! وأدرك نابليون خطورة مثل هذه الشائعات ؛ ولذلك فقد سخر ويمير في إطلاق الإشاعات المضادة .

وبعد أن كانت اتصالات الحيوانات محدودة - فقد وضع نابليون في طريقه بعض الحيوانات التي تتمتع بكامل صحتها وأغلبها من الغنم ، حتى تلقى على مسامح الرجل مدى سعادتها وما تحظى به من عناية ومن وجبات كافية .

وكذلك فقد عمد نابليون إلى ملء البراميل الفارغة المخصصة لتخزين الغلال بالرمال ، ثم أمر بتغطية سطحها القريب بالغلل ؛ كما عهد إلى اختلاق سبب لإدخال مسترويمير بنفسه في المخازن ، ورأى ما ظنه ذخيرة كافية فيها ، وردد بعد ذلك مشاهداته إلى الناس .

غير أنه في نهاية شهر يناير أصبح من المحتم على الحيوانات البحث عن غلال تشتريها من الخارج .

وفي هذه الأثناء كان نابليون نادراً ما يختلط بالحيوانات الأخرى ؛ فهو يقضى كل وقته داخل المزرعة ، تحرس كلابه التسعة مداخل بيته ، فإذا ما خرج من المنزل أحاطت به ستة من الكلاب في موكب مشهود ! وإذا ما جرؤ حيوان على الاقتراب منه نهخته الكلاب ، كما أصبح لا يخفل بالمثل في اجتماعات أيام الآحاد ، وأصبح ينيب عنه أحد الحنازير ، وخصوصاً سكويلر في إلقاء أوامره الخاصة بعمل الأسبوع في الحظيرة .

وفي صباح يوم من أيام الآحاد أذاع سكويلر أمراً إلى الدجاج أن يسلم البيض للإدارة . لأن نابليون عقد صفقة مع ويمبر يتم بمقتضاها بيع أربعائة بيضة أسبوعياً ، وذلك في مقابل شراء مواد غذائية لسد العجز فيها حتى موسم الصيف . وبرغم أن نابليون كان قد صرح في اجتماع سابق أنه ربما اضطر إلى اتباع ذلك الإجراء فإن الدجاج لم يكن ليصدق أن بيضه سيسلم لبيع في السوق ! وقد صرخ الدجاج محتجاً عند سماعه الخبر ، وكان الدجاج في ذلك الوقت يستعد لتفريخ الكناكيت عندما يقبل الربيع .

وللمرة الأولى بعد طرد مستر جونز كانت المزرعة على شفا القيام بانقلاب آخر ، وأزمع الدجاج العصيان تقوده ثلاث دجاجات سوداء ، وقد عقد العزم على عرقلة الأمر الصادر إليه من الزعيم ، وكانت وسيلته في ذلك هي الطيران إلى العوارض الخشبية العالية حيث يبيض ، فيسقط البيض مهشماً على الأرض ! .

وكان رد فعل نابليون سريعاً وحاسماً ؛ فقد أمر بوقف صرف المقررات الغذائية للدجاج . كما أمر بفرض عقوبات صارمة تصل إلى حد الإعدام لأي حيوان يضبط بتهمة مساعدة الدجاج تحت أية صورة من الصور !

وكانت الكلاب هي وسيلة نابليون في فرض الأوامر ومراقبة تنفيذها ، واستمر

عصيان الدجاج خمسة أيام ، ثم استسلم في نهاية الأمر ، وعادت الدجاجات إلى عشاشها بعد أن مات منها تسع دفنت تحت أشجار التفاح ، وأذيع أن سبب وفاتها مرض من أمراض الدواجن اسمه «الكوكوديوسس» !

ولم يعلم مستر ويمبرشيتا عن هذا العصيان ، فقد تم تسليم البيض بالتام في الموعد المتفق عليه تنقله عربة بقالة من المزرعة أسبوعياً .

وفي هذه الأثناء كانت أخبار سنوبول منقطعة : وإن تردد أنه ما يزال محتباً في إحدى المزرعتين المجاورتين . وكانت علاقة نابليون بالعالم الخارجي لا بأس بها ، وكانت لديه بالمزرعة كمية من خشب الزان الذي قطع منذ عشرة أعوام يتنافس في شرائها جراه مستر بلكنجتون ، ومستر فردريك وقد نصحه مستر ويمبرشيتا بالبيع . إلا أنه كان إذا ما أزمع بيعه إلى أحد من جاريه اللدودين خرجت الإشاعات عن وجود سنوبول لديه ، وتوقف الصفقة !

وفجأة في بداية الربيع حدث أمر مزعج : فقد أشيع أن سنوبول اعتاد أن يرتاد مزرعة الحيوانات بالليل وقد ذعرت الحيوانات لهذا حتى إنها أصبحت لا تكاد تنعم بسباتها ، وأصبحت غزوات سنوبول الليلية شيئاً متكرراً : فهو يسرق الغلال تارة أو يسكب اللبن تارة أخرى . وربما كسر البيض المجموع والمعد للبيع أو قذف بالتقاوى المعدة للزراعة أو نخر أشجار الفاكهة ! وكلما حدثت حادثة نسبت إلى سنوبول : فإذا ما كسر الزجاج أو سدت مواسير المياه فإنها كانت ترجع السبب إليه . ولما ضاع مفتاح المخزن زعمت أن سنوبول سرقه ، ثم قذف به إلى أعناق البئر . واستمرت الحيوانات على زعمها حتى بعد أن وجدت المفتاح ، وقد أعلن البقر أن سنوبول كان يدهمه ليلاً ثم يخلد ، وحينما أثار الفئران بعض المتاعب زعمت الحيوانات أنها تأتمر بوحي سنوبول !

وأصدر نابليون أوامره بالقيام بتحقيق كامل عن نشاطات سنوبول ؛ كما خرج في جولة تفتيشية لتفقد جميع منشآت المزرعة تحوطه كلابه ؛ ثم تبعه عن بعد بقية الحيوانات على استحياء !

وكان نابليون يتوقف بين الفينة والأخرى ، ثم يشم الأرض بأنفه ؛ ويأخذ نفساً عميقاً ثم يردد في صوت رهيب : نعم ، نعم ! إنا سنوبول ، إننى أكاد أبصره في كل مكان ! وفي كل مرة ينظرو باسم سنوبول كانت كلابه تزجر بروحية وهي تكشر عن أنيابها !

وكان هذا المنظر كافياً لإدخال الرعب على قلوب جميع الحيوانات ، وقد دخل في روعها أن شبح سنوبول يتهددها بالويل والشبور .

وعند حلول الليل جمع سكويلر الحيوانات ؛ وقد بدت على وجهه مظاهر اتجههم والصرامة ، وأعلن وهو ينتفض بعصبية نبأ خطيراً بأن سنوبول قد باع نفسه لفردريك صاحب مزرعة بنشفيلد ! وهما الآن يتآمران تمهيداً للهجوم على المزرعة واحتلالها . وأفضى سكويلر بأن سنوبول هو الدليل الذى سيقود هذه الحملة . وقال : والخطير فى الأمر أيها الرفاق أننى أصبحت أدرك تماماً المشاعر المنحطة التى أصبحت تحرك سنوبول وهى الخيانة ، وليست كما كنت واهماً من قبل الطموح أو الحسد ؛ فقد انكشف الستار عن خيانة سنوبول لأبناء جلدته ، وأنه قد باع نفسه لمسترجونز ، وأنه كان جاسوسه منذ البداية . ثم استطرد قائلاً : إن هذا التفسير يلقى الضوء على مجريات الحوادث السابقة ، ثم تساءل : ألم يحاول بدون جدوى أن يوقع الحيوانات فى الهزيمة ، بل الإبادة فى معركة (زريبة البقر) ؟

وبهتت الحيوانات . فإن ما نسب لسنوبول من خيانة قد فاق جرئته فى تدمير الطاحونة ، وظلت فى حالة ذهول لدقائق وهى لا تكاد تصدق ؛ فإنها تتذكر

أوربما خيل إليها أنها تذكر كيف حمل سنوبول على خصومه في موقعة (زرية البقر) ، وكيف كان يحارب ويقود المعركة ؟ ، وكيف أنه لم يتقاعس في أية لحظة حتى بعد أن أصابته قذيفة مسترجونز ؟ فكيف يمكنها إذن تصديق مثل هذه الأقوال عن خيانتها ، حتى بوكسر الذي لم يكن ليتشكك هو نفسه في البلاغات التي تزداع - قد أدركته الحيرة ، وأغلق عينيه جاهداً في صياغة ما يجول في فكره ثم قال بعد لأى : إنني لا أستطيع تصديق مثل هذا ؛ فقد أبلى سنوبول بلاء حسناً في معركة (الزرية) فاستحق وسام «بطل البهائم» من الدرجة الأولى بعد المعركة !

فرد سكويلر بأن سنوبول كان قد أحكم خديعته حتى اكتشفت ورائق سرية تدبته ، وتوضح دوره في الخيانة ، فاعترض بوكسر بقوله : ولكن سنوبول قد جرح في أثناء المعركة ! فرد عليه سكويلر موضحاً : إن هذه الجروح السطحية افتعلت افتعالاً تفيذاً للتمثيلية التي كان قد رسمها مسترجونز ، وإن لدى سكويلر الوثائق المكتوبة التي سجلها سنوبول على نفسه وهو على أتم استعداد لتقديمها لبوكسر إذا ما كان قادراً على القراءة ، وقد دون فيها أنه كان يتعين على سنوبول طبقاً لخطة المؤامرة أن يعطى إشارة الانسحاب قبل الوقت المناسب ، وقد كادت خطته تنجح لولا الزعيم البطل القائد الرفيق نابليون ! وقال سكويلر مستطرداً : ألا تتذكرون أيها الرفاق كيف أن سنوبول تبعه بعض الحيوانات اثنتي هارباً في اللحظة التي اقتحم فيها مسترجونز وعصابته فناء المزرعة ؟ ألا تتذكرون أيها الرفاق كيف أنه في اللحظة الحرجة التي ساد فيها الاضطراب ولاحت بوادر الهزيمة - قفز الرفيق البطل نابليون صارخاً بالموت للآدميين ، وقد أعمل أنيابه في ساق جونز ، وظل سكويلر يحاورهم وهو يرتعش حاساً ويتفض حتى خيل للحيوانات أن شريطاً حياً من الصور التي رسمها لها سكويلر يبدو أمامها واضحاً وفقاً لترتيب الحوادث في إطارها الجديد وقد

عاد إلى ذاكرتها بالفعل منظر سنوبول وهو يستدير ليهرب في اللحظة الحرجة في أثناء المعركة ؟ ولكن بوكسر ظل مشتت الفكر وقال : إنني لا أعتقد أن سنوبول كان خائناً منذ البداية ، بل إنه ظل رقيقاً صالحاً حتى معركة «زريبة البقر» .

أما عن خيائته بعد ذلك فهو أمر واضح ! وقاطعه سكويلر وهو يضغط على مخارج الألفاظ ويصوت منخفض وإن كان قاطعاً : إن الزعيم الرفيق نابليون في ترتيبه التاريخي للحوادث قد قرر خيانة سنوبول منذ البداية ، وإنه كان عميلاً باع نفسه قبل الانقلاب : فأذعن بوكسر قائلاً : إذا ما كان الرفيق نابليون قرر هذا فإن «نابليون دائماً على حق !» .

هذه هي الروح الثورية ، بهذا صاح سكويلر وهو يلقي على بوكسر نظرات تقدهح بالشرم من خلال عينيه الضيقتين ، واستأنف قبل أن يغادر مكانه وبصوت فيه نبرات التحذير : إنني أحذر جميع حيوانات المزرعة من جواسيس سنوبول المتشمرين بيننا ، إن عليكم أن تفتحوا عيونكم جيداً .

وبعد مرور أربعة أيام من هذا الحديث أمر نابليون أن تجتمع الحيوانات في فناء المزرعة ، ثم خرج عليهم من منزله مرتدياً أوسمته كافة بعد أن أنعم على نفسه بعد وسام «بطل البهائم» من الدرجة الأولى بوسام آخر منه من الدرجة الثانية ، تتبعه كلابه الضخمة التسعة وهي تنيح بطريقة تبعث القشعريرة في القلوب ، وقد أيقنت الحيوانات أن الخطير من الأمور لا بد أنه على وشك الحدوث !

وفي وقفة عسكرية انتصب نابليون وهو يتفحص الوجوه ، ثم صاح بصوت مبجوح تقدمت بعده الكلاب وأمسكت بأذان أربعة من الخنازير ، وهي تصرخ من الألم والرعب ثم جرتها وألقت بها تحت أقدامه ، وكانت آذانها تتزف ، وقد تذوقت الكلاب طعم دماؤها ، وأصيبت بحالة شديدة من الهياج ، ولدهشة الجميع

فقد هجمت ثلاثة كلاب في اتجاه بوكسر ، وحينما اقترب منه الكلب الأول دهمه بوكسر بساقه القوية وألصقه بالأرض إصفاً فصرخ الكلب مسترحماً ، وساق بوكسر تضغط عليه وهو ينظر إلى نابليون مستطعاً كأنما يستأذنه في سحق الكلب تحت قدمه ! فأمره نابليون بإخلاء سبيله في الحال وهو يتميز من الغيظ ، وما كاد يرفع عن الكلب قدمه حتى انسحب وهو يئن من الألم وذيله بين رجليه ، ثم هدأت موجة الصخب التي صاحبت هذا المشهد ، واتجهت الأنظار إلى الخنازير الأربعة التي كانت ترتعد هلعاً : ومظاهر الإثم والتندم ترتسم على وجوهها !

والنتف إليها نابليون يأمرها بالاعتراف ، وكانت هذه الخنازير هي بعينها التي سبق أن اعترضت على قرار نابليون في إنهاء اجتماعات يوم الأحد . وفي الحال توالى اعترافات هذه الخنازير بأنها كانت دائماً على اتصال مباشر بسنوبول منذ أن طرد من المزرعة ، وأنها ساعدته في تحطيم الطاحونة ، وأنها كانت تخطط معه لتسليم المزرعة لمسترفردريك ، كما أضافت هذه الخنازير أن سنوبول سبق أن حدثها بأنه كان عميلاً سرياً لمسترجونز منذ أعوام ماضية وقبل الانقلاب ، وحينما انتهت الخنازير من اعترافاتها الصريحة انقضت عليها الكلاب في الحال ومزقت أعناقها ، وصاح نابليون بصوته الرهيب : هل لدى الحيوانات أى اعترافات أخرى ؟ فتقدمت ثلاث دجاجات سوداء وهي التي سبق لها أن تزعمت حركة العصيان عند تسليم البيض ، وقررت أن سنوبول قد زارها في الأحلام وحرصها على عصيان أوامر الزعيم نابليون ! وفي الحال تم فيها تنفيذ حكم الإعدام ، ثم تقدمت إوزة وأقرت بأنها سبق لها أن أخفت ست سنابل من القمح من محصول الموسم السابق وأكلتها ليلاً ، وكذلك اعترفت نعجة على نفسها بأنها بالت في مياه البركة التي يشرب منها يدفعها إلى ذلك تحريض سنوبول لها ، وكذلك اعترفت نعجتان بأنها نفذتا جريمة قتل في

كيش عجوز كان شديد الولاء لنابليون بأن طاردتاه وحاورتاه حول موقد نار في فناء المزرعة وهو مريض بالسعال ؛ فازداد مرضه سوءاً ومات ! وقد نفذت على الخونة جميعاً أحكام الإعدام في الحال !

وتوالت الاعترافات ، وتوالت أحكام الإعدام حتى تكومت جثث الضحايا تحت أقدام نابليون ، وفاحت رائحة الدماء التي كانت الحيوانات قد نسبتها منذ نهاية عهد جوتز ! وحينما انتهى الأمر زحفت الحيوانات بعيداً وهي بائسة ترتعد ، لا تعلم أى الأمرين أشد هولاً ؟ أخيانة الحيوانات التي تأمرت هي وسنوبول أم منظر أحكام الإعدام الرهيبة ؟ .

نعم : إنها كانت تشاهد مجازر دموية في عهد جوتز البائد ، ولكن هذه المذبحة التي شاهدها اليوم كانت أشد هولاً على نفوسها ؛ لأن جلادها الجدد - إنما هم من أبناء جلدتها : فنذ رحيل جوتز لم يفتك حيوان من المزرعة بآخر وإن كان فأراً . وقلت الخنازير والكلاب إلى منزلها ، وزحفت الحيوانات إلى الربوة القريبة من الطاحونة ودون أن تفكر هجعت جميعاً على جنوبها قريبة بعضها من بعض وكأنها تلمس دفئاً افتقدته نفوسها !

تجمعت كلوفر وموريل وبنيامين والبقر والغنم وقطيع الإوز والدجاج على الربوة ماعد القط الذي كان قد اختفى عندما استدعاها نابليون للاجتماع ، ولقد ظلت الحيوانات كلها واجمة لفترة طويلة من الوقت ، وظل بوكسر واقفاً على الربوة وهو في حالة شديدة من الاكتئاب يهز ذيله يميناً ويساراً وهو يحمم : أنا لا أفهم شيئاً ولا أستطيع أن أتصور أن مثل هذه الأمور كانت لتحدث في مزرعتنا ! وإنما لا نلوم إلا أنفسنا على ما اقترفناه ، ولست أرى لهذه الكارثة من كاشف إلا بالعمل ! لقد آلت على نفسي أن أستيقظ لأعمل قبل ساعات العمل المقررة بساعة كاملة !

ثم ركض هابطاً إلى الحجر يجمع الأحجار ، ويصعد بها إلى حيث موقع البناء حتى أقبل الليل . وظلت الحيوانات قابعة على الربوة وبينها كلوفر لا تتكلم ، وهي جميعاً تنظر من فوق الربوة إلى الأفق الواسع الذى يترامى حتى المدينة والمراعى الخضراء تلوح تحت أقدامها ومنظر كومات الدريس والشجيرات والبركة وحقول القمح الخضراء ، وسطح منزل المزرعة الأحمر - تلوح فى الأفق والدخان يتصاعد من مدخته .

لقد كانت أمسية صافية من أمسيات الربيع ، وكانت الشمس الغاربة تلقى بأشعتها الذهبية على الحشيش وأسوار المزرعة ، ولقد كانت الحيوانات تحلم بأن هذه المزرعة بكل ما تحتويه من جمال ملك لها وكأنها لم تبين بعد مدى جهالها وسحرها إلا فى هذه اللحظات وللمرة الأولى ! ونظرت كلوفر من أعلى الربوة وعيناها مبللتان بالدموع ، ولو استطاعت أن تعبر عما يجيش بخاطرها لأفصحت أن الثورة التى عملت الحيوانات من أجلها قد ضلت عن غاياتها ! وأن المجازر التى مرت بها ما كانت لتخطر لها على بال حينما كان يحطب ماجور المعجوز بليل يدعو فيه إلى التمرد راسماً للحيوانات صورة باسمه عن مستقبل مشرق لمجتمع سعيد وقد تحمرت فيه من إسارها وخوفها وجوعها ، كلها سواسية ، لا تكلف إلا العمل الذى تطيقه ، يحمى قوتها ضعيفها تماماً كما كانت هى كلوفر تحنو على البط الصغير اليتيم الذى كان يلتمس الدفء بين أرجلها على حين كان ماجور يلقي خطابه ، ثم توالى الأيام وها هى ذى ثورتها المنتصرة والحيوانات لا تجرؤ فيها أن تعبر عما يدور بعقولها ، والكلاب المقتربة تجول بينها ، ثم مشاهد أجساد رفاقها الممزقة بعد اعتراف أى اعتراف . دار هذا الشريط . برأس كلوفر على سبيل الذكرى ، إنها لم تكن تفكر لحظة فى التمرد أو العصيان ؛ فبرغم كل مامر بالحيوانات من أحداث فقد كانت

تؤمن بأن حالها مازالت أفضل مما كانت عليه في عهد جونز ، وأن عليها أن تعمل دائماً من أجل ألا تعود (ثانية) نبياً للإنسان !

وفي سبيل هذا الهدف فإنه ينبغي عليها الإخلاص (والثبات) في العمل وتنفيذ ما يصدر إليها من أوامر وقبول زعامة نابليون ! لقد انتهت أحلامها السعيدة التي من أجلها جاهدت وضحت وشيدت الطاحونة وواجهت رصاص جونز !

كل هذا كان يدور بخلد كلوفر ولو أنها ظلت على صمتها إلى حين ، ثم بددت صمتها هذا بالغناء وكأنها تهرب به من واقعها المر وما فيه من الأسى البالغ العميق وحوطها الحيوانات الأخرى وقد تبعها في ترديد نشيد الثورة بنغمة بطيئة حزينة جميلة ، وكأنها تنعى أيامها الهنيئة ، تؤدي نشيدها بلحن ساعفها بإتقان لم يتيسرها من قبل حتى إذا ما فرغت من إنشاده أعادته من جديد ، وعند نهاية أدائه للمرة الثالثة اقتحم عليها سكويلر خلوتها يتبعه كلبان وهو على وشك أن يفضى إليها بمحدث هام ، وقد أعلن أن الرفيق نابليون قد أصدر مرسوماً خاصاً بمنع ترديد نشيد « يا وحوش إنجلترا » وأنه منذ هذه اللحظة قد أصبح التغنى به من المحظورات ! وقد ذهلت الحيوانات ، وتساءلت موريل عن أسباب المنع ، فأجابها سكويلر : إن النشيد لم يعد مجارياً للعصر ؛ فإن نشيد (وحوش إنجلترا) كان نشيد الثوار حينما لم تكن هنالك ثورة ، والآن فقد تمت الثورة وانتهت إلى غاياتها ، وكان في إعدام الخونة بعد ظهر اليوم نهاية الشوط ، وتحقق للثورة النصر على أعدائها في الداخل والخارج . إن النشيد كان عبارة عن التطلع إلى المستقبل الزاهر السعيد ! ثم أعلن سكويلر أن المستقبل الزاهر قد تحقق بالفعل ، فأصبح النشيد بذلك غير ذي موضوع ! وبرغم ما كانت عليه الحيوانات من ذهول ورعب فقد كان من المحتمل أن يعترض بعضها على مثل هذا القراولو لم تبدأ الغنم في ثغائها مرددة شعارها

المعهد : « ذوات الأربع أخيار ! وذوو الرجلين أشرار ! » لدقائق معدودات ، انسحب في أثنائها سكويكر من حيث أتى .

وبعد هذا اليوم لم يسمع النشيد مرة أخرى وقد ألف الشاعر مينيمس نشيدا آخر

هو :

مزرعة الحيوان الكبرى مزرعة الحيوان الكبرى

دمت لنا دهرا دهرا وبقيت لنا ذخرا ذخرا

وكان هذا النشيد يعنى صباح كل يوم أحد بعد رفع العلم ، وإن كان في نظر

الحيوانات لا يضحى نشيد « ياوحوش إنجلترا » من جيث النغم أو الكلمات !

الفصل الثامن

بعد أيام قلائل من المذبحة وحينما خفت حدة الرعب من نفوس الحيوانات تذكر بعضها أو خيل إليها أنها تذكر أن الوصية السادسة من الوصايا السبع القديمة جاءت بنص ينهى الحيوان ألا يقتل حيواناً آخر على أن أحداً منها لم يكن ليجرؤ على ترديد هذا الحديث على مسمع من الخنازير أو الكلاب برغم اعتقادها أن المذبحة قد خالفت النصوص الموضوعية والتي تعاهدت الحيوانات على احترامها !

وطلبت كلوفر من بنيامين أن يقرأ لها نص الوصية السادسة ، فاعتذر لها كعهده دائماً بأنه لا يجب أن يورط نفسه فيما لا يعنيه ! وبحث عن موريل التي استجابت وقرأت عليها بصعوبة الوصية المطلوبة وكانت كما يأتي : « على الحيوان ألا يقتل حيواناً آخر . . بدون سبب » ، ولسبب ما كانت الكلمتان الأخيرتان غائبتين عن ذاكرة الحيوانات ، ولكنها الآن قد أيقنت أن نصوص الوصية لا تتعارض هي والأحداث التي جرت ؛ فقد كان من الواضح أن تنفيذ أحكام الإعدام في الحيوانات التي تعاونت هي وسنوبول - كان له ما يبرره .

وفي ذلك العام عملت الحيوانات بدرجة أكبر مما عملت في العام السابق ، فقد كان يتعين عليها الانتهاء من تشييد الطاحونة في موعدها المحدد بمواطنها التي يزيد غلظ حيطانها عن سابقتها التي تهدمت ، ودون أن يخل ذلك بأعمال المزرعة الأخرى على ما في ذلك من جهد شديد .

ففي بعض الأحيان كان يخيّل للحيوانات أن عدد ساعات عملها قد صارت

أطول مما كانت في عهد جونز ، وأن وجباتها التي تقدم لها لا تزيد عما كانت تأكله قديماً .

وفي صباح أيام الآحاد كان سكويلر يقرأ عليها بيانات إحصائية مدونة على أشرطة ورقية طويلة يمسكها بين أظفاله يستفاد منها أن الإنتاج قد زاد بواقع ٢٠٠٪ أو ٣٠٠٪ في هذا القطاع أو ذلك أو ٥٠٠٪ على حسب الأحوال ، ولم يكن لدى الحيوانات أسباب تحملها على الشك في بياناته بعد أن طال بها العهد في ظل الثورة حتى أصبحت غير قادرة على تذكر شيء قبلها وإن خيل إليها أنها قد مرت بأيام كانت يتوافر لها فيها غذاء أفضل لولا ما يتلى عليها من إحصائيات ، وكانت جميع الأوامر تصدر إليها عن طريق سكويلر أو خنزير آخر ، أما نابليون فلم يكن ليظهر بينها إلا مرة كل أسبوعين ، فإذا ما خرج إليها تبعته ثلة من الكلاب ، وقد زاد على هذا الموكب ديك أسود اللون في المقدمة وهو يؤذن بلحن يشبه حامل النفير ! فإذا ما أزمع نابليون الخطاب أذن الديك إشارة لبدء الحديث !

وقد أشيع أيضاً أن نابليون قد اتخذ له مسكناً مستقلاً داخل منزل المزرعة ، وأنه أصبح لا يجالس أحداً في أثناء غذائه وأن كلبين يقفان على خدمته في أثناء الأكل كما أنه يستخدم أطقم مسزجونز الفخمة التي كان يستعملها في المناسبات وقد أخرجها من الصوان الذي بحجرة الجلوس !

وقد أعلن بعد ذلك وجوب الاحتفال بذكرى مولده بإطلاق رصاصة من البندقية ، تماماً كما تحتفل المزرعة بالعيدين الآخرين : ذكرى الثورة ، وذكرى معركة (زريبة البقر) .

وأصبح من المفروض على الحيوانات ألا توجه الحديث إلى نابليون إلا بعد ذكر ألقابه كاملةً مثل الزعيم الرفيق ، كما أن الخنازير كانت تضيف إلى ذلك لقب

(أبى الحيوانات ، هازم الإنسانية ، حامى الغنم ، صديق البط) وما إلى ذلك من ألقاب ، وكان سكويبر حينما يخطب تنهر دموعه إذا ما ذكر اسم نابليون أو حكمه الغالية وقلبه الرهوف وصدوره الذى يتسع لجميع حيوانات الأرض وخصوصاً الحيوانات النعمة الطالع التى تعيش فى ظل عبودية الآدميين ! واعتادت الحيوانات إرجاع كل أسباب النجاح والحظ السعيد إلى نابليون : فكانت الدجاجة إذا ما وجهت حديثها إلى دجاجة أخرى ابتدتها قائلة : فى ظل إرشادات زعيمنا الرفيق نابليون فقد بضت خمس بيضات فى ستة أيام ! وربما قالت البقرة لأختها وهى تشرب من مياه البركة : حمداً لزعيمنا الرفيق نابليون : ما ألد وأصنى هذا الماء ! وقد استلهم الشاعر الخنزير مينيوس وحيه من واقع هذه الحال فى هذه القصيدة :

يا أبا الأيتام يا نبع السرور
 مطعم الجوعان أقداح الشعير
 هادئ كالصخر عات كالشعير
 إيه نابليون يابدر البدور

* * *

يا ملاذ الوحش من ظلم الزمن
 تهب القش طريراً للوسن
 كل خنزير لديك مطمئن
 عشت نابليون ذخراً للوطن

* * *

كلما طار فراش كلما غنت طيور
 عندما يولد عند الفجر خـنـزير غرير
 صيحة المولود كانت وهو في المهد صغير
 أنت نابليون مجـد وذكاء وحبـور

• • •

وقد أعلن نابليون رضاه عن هذه الأبيات وأمر بتعليقها على حائط الحظيرة الكبرى في مواجهة الوصايا السبع ، وقد زين سكويلر الجدار بصورة مكبرة للزعم قام بتنفيذها باللون الأبيض .

وفي هذه الأثناء كان نابليون منشغلاً بمباحثات حساسة يجريها مع جارية فردريك وبلكنجتون بمعاونة مستر ويمبر بخصوص صفقة الأخشاب التي لم تكن قد بيعت بعد ، وكان الجاران اللدودان يتنافسان في شرائها وإن كانت الأنباء مازالت تتوالى عن أن فردريك مازال على غيه القديم بحوك هو ورجاله المؤامرات لمحاولة إعادة تحطيم الطاحونة التي كانت تثير في قلوب البشر أشد الغيرة ؛ كما كان يشاع أن سنوبول مازال قابلاً في مزرعة بنشفيد .

بل إن ثلاث دجاجات من المزرعة قد اعترفت ذات يوم أنها قد تورطت في مؤامرة حاكها سنوبول لقتل نابليون ، وقد أعدمت في الحال ، واتخذت تدابير أمن مشددة لحماية الزعيم .

وكانت تتولى حراسة سريره أربعة كلاب كل منهم في ركن ، وعين خنزير شاب اسمه بنكاي ؛ ليتذوق كل أطعمة نابليون قبل تقديمها إليه خوفاً من محاولة دس السم !

وفي ذلك اليوم أشيع أن نابليون كان على وشك بيع الأخشاب إلى مستر

بلكنجتون والدخول معه في اتفاقية لتبادل السلع بين مزرعة الحيوانات ومزرعة فوكس وود بمعاونة مستر ويمر ، كما أصبحت العلاقات بين طرفي العقد تسم في الواقع بالود والمجاملة ! وبرغم أن الحيوانات كانت لا تتق بأحد من البشر فإنها كانت تفضل مع ذلك مستر بلكنجتون على مستر فردريك الذي كانت تخشاه وتمقته في الوقت نفسه !

وحينما آذن الصيف بالانتهاء وكاد بناء الطاحونة يكتمل سرت أنباء عن هجوم وشيك يزعم فردريك القيام به ، وقد أشيع أنه قد جيش في سبيل ذلك عشرين رجلاً مدججين بالبنادق ، وأنه قد رشا (بوليس) المنطقة حتى لا يتحرك إذا ما سقطت مزرعة الحيوانات في يده ، كما تسربت أنباء عن مدى قسوة فردريك في معاملة حيواناته في مزرعته الخاصة بنشفيلد : فقد جلد حصانه الهرم حتى الموت ، كما أنه ترك بقرة تموت جوعاً ، وأحرق كلبه في الفرن ، وكانت تسليته المفضلة في المساء معارك يديرها بين ديوكه ، وقد رُكبت في أظفارها قطع من أمواس الخلاقة ! وكان الدم يغلي في عروق الحيوانات حينما تتوالى عليها أنباء هذه القسوة التي يتعرض لها رفاقها ، حتى إنها فكرت في الاستئذان في الهجوم على مزرعة بنشفيلد ، وتخليص ما بها من حيوانات مسكينة من براثن مستر فردريك ، إلا أن سكويرل نصحتها بالترث وترك مثل هذه الأمور لحكمة الرفيق نابليون ودهائه !

وارتفعت موجة الكره ضد فردريك ، وفي صباح يوم أحد قدم نابليون إلى حظيرة الاجتماعات ، وأعلن على الحيوانات أنه لم يفكر في يوم من الأيام في بيع صفقة الخشب إلى فردريك ، وأنه شخصياً يعتبر أن التعامل مع أمثال مستر فردريك لا يتفق مع كرامته ! وفي يوم من الأيام صدر الأمر للحمام بعدم التحليق فوق مزرعة فوكس وود وعدم التعرض لها والاقتصار على الدعوة إلى الثورة في مزرعة

بنشفيلد ؛ كما صدرت إليه التعليقات بتعديل الشاعر القديم : (الموت للإنسانية !)
إلى : « الموت لفردريك ! » .

وفي أخريات الصيف اكتشفت مؤامرة جديدة دبرها سنوبول الذي تبين أنه
داهم المزرعة بليل وخلط تقاوى القمح ببذور الحشيش ، وقد اعترف بهذا
ذكر من الإوز كان قد شاركه في المؤامرة ، ثم انتحرف في الحال ببلع حبات من نبات
سام ! وقد تبين الآن للحيوانات كافة أن سنوبول لم يحصل إطلاقاً على وسام « بطل
البهائم » من الدرجة الأولى عن دوره في معركة « زريبة البقر » كما كان يشاع في
الماضي ، وقد اتضح لها أن سنوبول نفسه هو مصدر هذه الإشاعات المغرضة ، وأن
حقيقة الأمر هو أن سنوبول كان قد عزل بعد هذه المعركة لما أبداه فيها من جبن ! .
ومرة أخرى فقد ساور بعض الحيوانات الشك فيما أذيع عليها أخيراً من
معلومات ، إلا أن سكويلر استطاع أن يضع الأمور في نصابها وأن يبين لها مدى
ضعف ذاكرتها .

وفي الخريف كانت الحيوانات قد بذلت مجهوداً ضخماً في حصاد المحصول في
موعدته تقريباً ، وكذلك فقد تمكنت في الوقت نفسه من الانتهاء من بناء الطاحونة
في الوقت المحدد ، وأصبح لزاماً عليها أن تحصل على الأدوات اللازمة لتشغيلها عن
طريق مستر ويمبر !

نعم لقد انتهت من بناء الطاحونة في موعدتها المحدد باليوم يرغم جميع المصاعب
وعدم خبرتها بالبناء ونقص المعدات اللازمة وسوء الطالع وخيانة سنوبول وأنها
إذ تشعر بالتعب فإنها مع ذلك كانت فخورة تطوف حول تحفتها الفنية التي بدت لها
أجمل مما كانت عليه في المرة الأولى ، وقد أصبحت حوائطها أكثر غلظاً من سابقها
بحيث لا يمكن هدمها إلا باستعمال المفرقات .

لقد كان يطوف بذهنها ما لاقته في سبيل بنائها من جهد بالغ ومصاعب جمة ، وقد تغلبت عليها بإيمانها ، وآن لها الآن أن تنهأ بمستقبل سعيد باسم بعد أن تم لهم ما أرادت ، وما هي إلا فترة قصيرة حتى يتم تركيب المراوح لتشغيل المولد الكهربى . كانت هذه الأمانى العذبة تدور بخلدتها ، فتنسى ما مر بها من تعب ، وتهزل حول الطاحونة وهي تصيح بصيحات النصر!

وأقبل نابليون بشخصه تبعه كلابه ، ويتقدمه ديكه الأسود لتفقد الطاحونة وقد هنا بنفسه الحيوانات على إنجازها الضخم ، وأعلن أنه منذ الآن فإن الطاحونة ستحمل اسمه لتصبح (طاحونة نابليون) .

بعد يومين من الانتهاء من تشييد الطاحونة دعيت جميع الحيوانات للقاء خاص في الحظيرة ، وبين ذهوها الشديد أعلن نابليون عليها نبأ بيع صفقة الخشب لفردريك ، وأن عربات فردريك ستحضر في صباح اليوم التالى لتحويل الأخشاب ، كما أعلن أنه طوال فترة صداقته بمستر بلكنجتون كان على وفاق سرى كامل مع مستر فردريك ، وأنه منذ الآن قد قطع علاقاته بمزرعة فوكس وود ، وأن حملاته الإعلامية قد تم توجيهها ضد بلكنجتون ، وأن شعار الحمام المعدل (الموت لفردريك) قد عدل من جديد ليصبح (الموت لبلنجتون) ! ، كما أصدر نابليون تعليقاته بتجنب الإساءة إلى مزرعة بنشفيلد وكذلك أنبأها نابليون أن أخبار المعارك المزعومة التى يديرها فردريك لا أساس لها من الصحة ، وأن أخبار قسوته على حيواناته مبالغ فيها للغاية ، وأن مثل هذه الشائعات قد أطلقها سنوبول وعملاؤه ، وأنه لا صحة لما تردد من وجود سنوبول بمزرعة بنشفيلد ، بل إنه يتقلب فى أسباب الأبهة والترف بمزرعة فوكس وود .

وكانت الحيوانات فى حالة انتشاء وهي تسمع سكويلر يلقي عليها أخبار دهاء

نابليون وخديعته ليلكنجتون ، فقد استطاع بإظهار الصداقة له أن يجبر مستر فردريك على رفع سعر الخشب اثني عشر جنيهاً ، واستطرد سكويلر أن مدى حكمة الزعيم تتضح من خلال حذرة الشديد من الآخرين بما في ذلك فردريك نفسه ، فإن فردريك أراد أن يسدد ثمن الخشب بما يسمى « الشيك » وهو عبارة عن قطعة من الورق دون عليها أمراً بالسداد ، ولكن نابليون بزه في لعبة الدهاء حينما اشترط أن يكون الدفع بورق حقيقي من البنكنوت من فئة خمسة الجنيهات تدفع قبل تسليم الخشب ، وقد أذعن فردريك للشروط وقام بالدفع وقرر سكويلر أن ما تجمع لديهم من عملات أصبح كافياً لشراء جميع المعدات اللازمة للطاحونة .

وفي هذه الأثناء تم تسليم الخشب الذي نقل على عجل ، ثم عقد نابليون اجتماعاً خاصاً بقاعة الحظيرة لكي يطلع الحيوانات على ورق البنكنوت ، وبدا نابليون وهو يعتلى سريراً من القش ، ويرتدى وساميه ، ويفتر ثغره عن ابتسامة عريضة ، كما بدت بجانبه كومة من النقود الورقية في طبق صيني ! وزحفت الحيوانات في بطء وهي تحملق بكل نظراتها ، بل إن بوكسر زاد على ذلك بأن وضع أنفه في الصحن وهو يشم النقود عميقاً حتى تناثرت من أنفه بعض الرغوى البيضاء !

وبعد ثلاثة أيام من هذا المشهد حضر مستر ويمبر على دراجته وهو ممتقع الوجه ، واقتحم بسرعة منزل المزرعة ، وقد أحدث وجوده بهذه الصورة هرجاً ومرجاً شديدتين في أنحاء المزرعة ، وسمع بعد ذلك صوت نابليون مدوياً ، وانتشر خبر الزيارة مثل النار في الهشيم ، فقد تبين أن أوراق البنكنوت التي قدمها مستر فردريك مزورة ! وأنه بذلك يكون قد اشترى الخشب بدون مقابل !

وفي الحال استدعى نابليون جميع الحيوانات وفي صوت رهيب أصدر حكماً

بالإعدام على فردريك ، فإذا ما تم القبض عليه فإن الحكم يتم بسلقه في الماء المغلي حياً !

كما أئذرها أنه يتوقع المبادرة بالعدوان في أية لحظة من جانب فردريك بعد أن انكشف غشه ، وأن فردريك ورجاله قد يقومون بهجومهم المتظر في أى وقت ، ولذلك فإن نابليون قد أمر بإقامة حراسة كاملة على جميع مداخل المزرعة ، كما أنه قد بعث بأربع حمامات إلى فوكس وود وهى تحمل منه رسائل ودية لإعادة ما انقطع من علاقات بينه وبين بلكنجتون !

وفي صبيحة اليوم التالى لاحت بوادر المعركة حينما هرعت طلائع الحيوانات المكلفة بالحراسة إلى مباني المزرعة ، على حين كانت الحيوانات تتناول « الفطور » ، وقد أئذرت هذه الطلائع بأن فردريك ورجاله قد اقتحموا بالفعل بوابة المزرعة ذات العوارض الخمس ، وتحركت الحيوانات بشجاعة لمقابلة الزحف ، ولكنها في هذه المرة لم تحظ بالنصر السريع الذى سبق لها أن أحرزته في معركتها السابقة « زربية البقر » .

فقد كان المهاجمون خمسة عشر رجلاً ، منهم ستة مسلحون بالبنادق وقد بادروا الحيوانات بسيل من الرصاص وهم على بعد خمسين ياردة منها ، ولم تستطع الحيوانات مقابلة الرصاص المنهمر ، برغم ما بذله نابليون وبوكسر من جهد في تجميع صفوفها ، وانسحبت إلى الخلف وقد أصيب عدد منها بجروح ، ثم تحصنت بمباني المزرعة ، وأطلقت بجزر من خلال النوافذ الضيقة وثقوب الأبواب وقد وقعت مراعى المزرعة والطاحونة في أيدي أعدائها !

وخيل للجميع بما في ذلك نابليون أن المعركة قد انتهت بالفعل وقد تمت هزيمتها ، وكان نابليون يغدو ويروح بصبر نافذ وذيله المتقلص يتحرك في عصبية ،

ومن حين لآخر فإنه كان يتطلع إلى الناحية التي بها مزرعة فوكس وود وعيناه تنظران في ضراعة ، فلو أن مدداً جاءه منها فربما يستطيع أن يقلب الوضع لمصلحته ، وفي هذه الأثناء عادت الحمامات الأربع وهي تحمل لنابليون رسالة رداً على خطابه إلى بلكنجتون وقد ضمنها العبارة الآتية « لقد نلت جزاءك ! » .
وتابع نابليون تحركات الأعداء فإذا بهم يتوقفون حول الطاحونة ، ونظرت الحيوانات واجفة إلى رجلين من بينهم يحاولان تدمير الطاحونة وقد حملا في أيديهما عتلة ومطرقة .

وطمأن نابليون الحيوانات بالألتحشى شيئاً ، وأن بناء الطاحونة أقوى من أن يحطمه رجلان قبل أسبوع كامل ، وطلب إليها أن تحتفظ برباطة جأشها !
وكان بنيامين يتابع تحركات الرجلين باهتمام بالغ وهما يحفران حفرة تحت الطاحونة يستعملان فيها المطرقة والعتلة ، وبتؤدة هز بنيامين رأسه وكأنه قد أدرك ما يحاولان أن يفعلاه وقد بدت على وجهه علامات الرضا عن النفس وقال :
إنني كنت أتوقع منها ذلك ، إنها يحفران حفرة تحت الطاحونة وسيملأها بمواد ناسفة !

ولم تكن الحيوانات لتجرؤ على الخروج من مكانها بالمباني وقد قبعت تراقب مجريات الأحداث وهي واجفة ، وبعد دقائق معدودات شاهدت الرجال تجرى بعيداً عن الطاحونة في كل اتجاه ، ثم سمعت صوت انفجار مدو طار عند سماعه الحمام مذعوراً ، وألقت الحيوانات بنفسها على بطونها وقد أخفت في الأرض وجوهها ما عدا نابليون .

وحينما عادت الحيوانات لمراقبة مجريات الأمور شاهدت دخاناً أسود يتصاعد إلى السماء . ولما انقشعت تلك السحابة السوداء كانت الطاحونة قد اختفت عن

الأنظار وقد تناثر على الأرض حطامها !

وعند هذا المنظر الرهيب نسبت الحيوانات بأسها وخوفها ، ودبت في صدورنا نار الغضب والثورة ، وانطلقت صيحة مدوية تدعو للانتقام ، انطلقت في إثرها الحيوانات صفاً واحداً متماسكاً دون انتظار للأوامر ، وأطبقت على أعدائها غير عابئة برصاصهم المنهمر !

ثم تلاحمت في معركة رهيبة ، وانطلق الرجال يضربونها بعصيهم وأحذيتهم الثقيلة . وقد قُتلت في المعركة بقرة وثلاث نعاج وإوزتان كما أصيب كل المتحاربين بجروح وإصابات مختلفة : فنانليون الذي كان يقود العمليات الحربية عن كتب أصيب طرف ذيله برش الرصاص فبتره ، وكذلك أصيب الرجال جميعاً ، فقد أصاب بوكسر بضربات حافره الحديدى جماجم ثلاثة منهم كما أحدثت بقرة بقرونها جرحاً غائراً يبطن أحدهم ومزقت جيسى وبلويل سراويلهم .

وكان نانليون قد سبق أن أصدر أمراً إلى كلابه التسعة بمراقبة سور المزرعة ، وقد عادت الكلاب فجأة وهي لا تكاد ترى من السور وقد علا نباحها إلى جانب الرجال المهاجمين .

وقد كان لظهورهم المباغت أثره على الرجال الذين خافوا أن تطوقهم الحيوانات ، وأمرهم فردريك في الحال بالانسحاب في الوقت المناسب ، وهرع الرجال الجبناء إلى خارج المزرعة ينشدون السلامة ! وانطلقت الحيوانات في إثرهم تركلهم حتى اضطر الرجال إلى الهروب عبر أسوار المزرعة الشوكية إبقاء على حياتهم !

لقد تم للحيوانات النصر ، ولكنها كانت مرهقة تتزف ، وفي بطء عادت (ثانياً) إلى مباني المزرعة وهي تعرج وقد حركت مشاعرها مناظر ريفقاتها وهي

صرعى فوق الحشيش ، وانطلقت بعضها تبكى ! ثم توقفت قليلاً أمام أطلال
الطاحونة والأسى يغمر نفوسها ؛ فقد كانت رمزاً حياً لإرادتها وها هي قد
تهدمت من أساسها ؛ بل إن أحجارها كانت قد تناثرت بعيداً بفعل الانفجار ،
وحتى أصبح من العسير إعادة استخدامها في البناء من جديد ! لقد أصبحت
الطاحونة أثراً بعد عين !

وحينما اقتربت الحيوانات من مباني المزرعة خرج عليها سكويلر وهو يهز ذيله
ووجهه يطفح بالبشر ، لقد كان قابلاً في مكانه حينما كانت تحارب ، وها هو ذا يعدّ
لها استقبالاً يليق بالمتصرين ، وسمعت رصاصة تدوى وتساءل معها بوكسر عن
سبب إطلاق الرصاصة ، فصاح سكويلر احتفالاً بالنصر ، وتساءل بوكسر (ثانياً)
أى نصر؟

وكانت ركبته تتزف دماً وقد فقد (حدوة) حديدية ، كما أصيب أحد حوافره
بكسر ، واستقر رش البنادق في فخذية الخلفيتين وعندئذ صاح سكويلر بيوكسر :
تساءل عن النصر ! ألم نطرد نحن أعداءنا من أرضنا ، أرض الحيوانات المقدسة ؟
فقال : ولكنهم حطموا الطاحونة التي اجتهدنا في بنائها عامين ! وصاح سكويلر :
سنبني إذا ما شئنا ست طواحين !

ألا تتصورون أيها الرفاق مدى الإنجاز الضخم الذي حققناه ؟ ألم يكن أعداؤنا
قد احتلوا أرضنا التي نقف عليها الآن ثم استعدنا نحن قطعة قطعة بفضل زعامة
الرفيق نابليون الرشيدة ؟ وهنا قاطعه بوكسر متسائلاً من جديد : أى نصر هذا ؟ كل
ما فى الأمر أننا قد استعدنا (ثانياً) ما كان لنا من قبل ! فأجابه سكويلر : إن ذلك
هو النصر المبين !

وواصلت الحيوانات المسيرة وبوكسر يعرج وقد أحدثت به كرات الرش التي

استقرت تحت جلده ألماً شديداً . وكان في ذلك الوقت يفكر في العبء الجسمى الذى أُلقت به المعركة على أكتافهم ؛ فإن الطاحونة التى قد نسفت لا بد أن يعاد بناؤها من جديد !

ولقد عقد بوكسر العزم على تهيئة نفسه لهذا الغرض العظيم وللمرة الأولى من حياته التى امتدت أحد عشر عاماً شعر بوكسر بوطأة السنين وثقلها ؛ كما أحس بالوهن يدب في عضلاته القوية !

وعندما شاهدت الحيوانات العلم الأخضر وهو يرفرف على ساريتيه ؛ وسمعت دوى الرصاص للمرة السابعة ونابليون يقوم فيها خطيباً يهتبا على بسالتها - خيل إليها في نهاية المطاف أنها قد أحرزت بالفعل نصراً عظيماً ، وقامت بدفن ضحايا المعركة في موكب مهيب ! وكان بوكسر وكلوفر يجران العربة التى وسدت فيها الجثث ؛ ويتقدمها نابليون شخصياً .

وظلت لعدة أيام بعد ذلك تحتفل بانتصارها بإلقاء الخطب وترديد الأناشيد وإطلاق الرصاص ، ووزعت الهدايا عليها وأهدى لكل حيوان تفاحة ، وكل طائر أوقيتان من القمح ، وكل كلب ثلاث قطع من البسكويت ؛ وأطلق نابليون على الحرب الأخيرة اسم (معركة الطاحونة) . وقد أمر نابليون بتخصيص وسام تخليداً لذكرى المعركة من مرتبة وشاح العلم الأخضر الذى أنعم به على نفسه .

وفي غمرة الابتهاج بالنصر نسيت الحيوانات قصة البنكنوت المزيف ، وبعد أيام قلائل من هذه الاحتفالات أخرجت الخنازير من مخزن المنزل صندوقاً من (الويسكى) كانت قد تركته بعد استيلائها على المزرعة ، وفي هذا المساء سمعت الحيوانات صخباً شديداً ينبعث من منزل المزرعة ، كما سمعت الخنازير تغنى بصوت عال ، وتخط الأنعام بعضها ببعض ، وقد أدهشها أن تسمع بين هذا الشاز بعض

فقرات من النشيد الممنوع «يا وحوش إنجلترا» وفي الساعة التاسعة والنصف مساءً لمحت الحيوانات لدهشتها الشديدة نابليون وهو يرتدى قبعة مستر جونز وقد خرج من الباب الخلفي للمنزى مهولاً ، ودار حول ساحة الفناء ثم عاد ثانياً من حيث جاء دون ما سبب واضح .

وفي صباح اليوم التالى كان الصمت مخيماً على المنزى حتى الساعة التاسعة صباحاً ، ثم خرج سكويلر وهو يمشى الهوينى ، وتبدو عليه علامات المرض والاكتئاب وقد انتفخت عيناه وهو يجر ذيله جراً ، وقد تهدل خلفه وجمع حوله الحيوانات ليتلو عليها الخبر المقتضب الآتى : أيها الرفاق ، إن زعيمنا نابليون فى النزاع الأخير !

وعندئذ أخذت الحيوانات فى الولوجة ، ثم قامت بفرش القش فى الفناء لكيلا تحدث صوتاً يقلق راحة المحتضر ، وكانت تمشى على أطراف أصابعها ، وإذا ما تحدثت فبالهمس ، وكانت تسائل بعضها بعضاً والدموع فى مآقيها عن مصيرها إذا مات الزعيم !

وقد سرت إشاعة أن سنوبول هو الذى دس السم فى طعام نابليون ، وفى الساعة الحادية عشرة خرج عليها سكويلر (ثانياً) بالخبر التالى : أيها الرفاق ، إن زعيمنا قبل أن يوافيه الأجل المحتوم قد أصدر مرسوماً باتاً بعقوبة الموت بالإعدام على كل من تسول له نفسه شرب الخمر !

وعند المساء سرت أنباء سعيدة بتحسن صحة الزعيم ، وفى اليوم التالى أعلن سكويلر أن صحة الزعيم فى تقدم مطرد ، وفى مساء اليوم التالى عاد نابليون إلى مهام منصبه ، وفى اليوم التالى أصدر نابليون أوامره إلى مستر ويمبر بشراء المراجع الخاصة بطرق التخمر والتقطير .

وبعد أسبوع أصدر نابليون أوامره بمرح المرعى الصغير الذى خلف حديقته
الفاكهة ، وهو الذى كان قد أنفق على تخصيصه لكبار السن من الحيوانات التى
تحال إلى التقاعد ! وقد علل إجراءه هذا بأن الحشيش الضار قد داهم هذا
المرعى ، فلزم الأمر بمرح الأرض وتجهيزها تمهيداً لإعادة زراعتها من جديد .
ثم تبين للحيوانات فيما بعد أن نابليون قد أمر بزراعة هذا المرعى شعيراً .
وفي الليلة ذاتها وقع بالزرعة حادث مريب وإن لم تكن الحيوانات لتعرف
ما وراءه ! ، فعند منتصف الليل سمعت جميعاً صوتاً مكتوماً ينبعث من الفناء وكأنه
جسم يرتطم هو والأرض من عل ! وقد هرعت الحيوانات من حظائرهما ؛ لتستطلع
الخبر فى ضوء القمر ، وعند الحائط الخلقى لمبنى الحظيرة الكبرى حيث قد دونت
الوصايا السبع وجدت الحيوانات سلماً مهشماً على الأرض وسكويلا ملقى بجانبه
وهو فى حالة ذهول مؤقت وقد سقط بجانبه مصباح وفرشاة وعلى الأرض بقايا طلاء
أبيض يسيل من علبة مقلوبة !

وكانت الكلاب تحيط بسكويلا وكأنها تحرسه ، ثم مالبت أن أفاق من
غشيته ، وحينما استطاع النهوض انسحب قافلاً للمنزل بين دهشة الحيوانات التى
استبد بها الفضول إلا بنيامين ، فقد ظل صامتاً يهزأه وتبدو عليه سمات العارفين !
وبعد ذلك الحادث بأيام بينما كانت موريل تعيد لنفسها قراءة الوصايا السبع
لاحظت أن وصية من بينها قد سبق للحيوانات حفظها على غير وجهها الصحيح ؛
فإن نص الوصية الخامسة التى درجت الحيوانات على حفظها عن ظهر قلب كانت
كما يأتي : « غير مسموح للحيوانات بشرب الخمر » إلا أن موريل فى قراءتها
الأخيرة اكتشفت أنها كانت قد نسبت كلمتين عثرت عليهما من بعد لتصبح الوصية
مكتملة كالآتى : غير مسموح للحيوانات بشرب الخمر . . . لحد الإفراط !

الفصل التاسع

كان حافر بوكسر بطيئاً في الثامنة ، وقد ابتدأت الحيوانات في إعادة بناء الطاحونة بعد أن انتهت مهرجانات الاحتفال بالنصر مباشرة ، ولم يكن بوكسر ليقبل أن يتوقف العمل يوماً واحداً برغم ما يعانیه من بالغ الألم .

وكان اعترازه بكرامته يأبى عليه أن يطلع رفاقه على مدى إحساسه بالآلام ، فإذا ما أقبل المساء وانتهت نوبات العمل - قفل راجعاً إلى كلوفر بيث لها ما يعانیه . وكانت كلوفر تعد له لدائن من الحشيش المصوغ تداوى بها حافره المصاب ، وكانت هي وبنيامين يلحان عليه إلحاحاً شديداً ألا يرهق نفسه هذا الإرهاق الشديد في عمله الدائب ، وطالما رددت كلوفر على مسامعه ما تعلمه من أن رنة الخيل هي نقطة الضعف فيها يؤثر عليها الإجهاد الشديد تأثيراً سيئاً .

ولم يكن بوكسر ليستمع إليها ، وآماله كلها تركز في ضرورة الانتهاء من تشييد الطاحونة ، وأن يوفر لها كل الإمكانيات الضرورية قبل أن يبلغ سن التقاعد المقررة والتي لم يبق له على بلوغها إلا القليل .

ففي بداية حركة الانقلاب قننت الثورة نظاماً تحال بموجبه شتى الحيوانات إلى التقاعد عند سن محددة وكانت هذه السن اثني عشر عاماً للخنازير والخيل وأربعة عشر عاماً للبقرة وتسعة أعوام للكلاب وسبعة للأغنام وخمسة أعوام للدجاج والإوز والبط ، وقد طرحت هذه اللائحة للتصويت وحظيت بالإقرار بالإجماع .

ولم يكن أحد من حيوانات المزرعة قد بلغ بعد سن التقاعد ، ومع ذلك فقد

أعيد طرح موضوع التحديد لسن المعاش لمختلف الأصناف المرة تلو المرة ، وقد قيل أخيراً بعد أن خلص المرعى الصغير وزرع شعيراً : إن جزءاً من المرعى الكبير سيسور ويخصص للمحالفين إلى المعاش : كما قيل أيضاً : إنه قد اتفق على المخصصات المقررة للمتقاعدین وهى خمسة أرتال من الغلال يومياً يزداد عليها فى الشتاء خمسة عشر رطلاً من الدريس ، كما يضاف إلى هذه الوجبة جزر أو تفاح فى المناسبات . وكان بوكسر سيصل إلى تمام سن الاثنى عشر عاماً فى نهاية الصيف فى العام التالى . وفى هذه الأثناء كانت الحيوانات تعمل عملاً متواصلًا فى شتاء قارص كسابقه ، وكان الغذاء المتاح لها أقل مما اعتادته .

ومرة أخرى تقرر تخفيض وجبات جميع حيوانات المزرعة ما عدا الخنازير والكلاب وبرر سكويلر ذلك التفاوت فى المعاملة بقوله إن المساواة الكاملة فى الوجبات تنافى فى جوهرها ومبدأ الحيوانية !

وقد قرأ عليهم البيانات الإحصائية التى يتضح منها بجلاء أن وجباتهم المعدلة كافية برغم المظاهر التى تعارض هى وهذه الحقيقة ! وكان سكويلر يصر على استعمال كلمة التعديل فى المقررات الغذائية بدلاً من لفظ الإنقاص ، وقد اتضح من المقارنات الإحصائية التى ساقها لها أنها بالفعل تحظى بغذاء وافر يفوق بكثير ما كان جوترز يقدمه لها .

ويتضح منها مدى الرغد الذى تنعم به . وفى صوت سريع يفيض بالانفعال بين لها الزيادة التى تحظى بها فى كل المواد الغذائية من القرطم والدريس واللقت ، كما بين لها انخفاض عدد ساعات عملها الفعلية فى ظل الثورة وتحسن نوعية وتقاء مياه الشرب وارتفاع متوسط الأعمار وانخفاض نسبة وفيات الأبطال ، كما أنها أصبحت تنعم بالمزيد من القش اللازم للتدفئة : كما هبطت نسبة وجود البراغيث كثيراً عما

كانت عليه قبل الانقلاب !

ولقد صدقت الحيوانات كل ما أذاعه عليها سكويلر ، وخصوصاً أنها أصبحت لا تتذكر عهد جونز بوضوح .

إنها ولاشك تعاني من وطأة عمل قاس في ظل ظروف صعبة ؛ فهي تعمل طوال يومها برغم البرد والجوع ، ولكنها برغم ذلك لا بد أن تكون بالفعل أسعد حالاً مما كانت عليه في العهد الماضي ! إن مثل هذه الحقائق التي أبرزها سكويلر والتي أضحت تقتنع بصحتها تضفي عليها بعض الراحة والسعادة ، كما ألمح سكويلر بنعمة الحرية التي تحظى بها وقد أسعدت ، الحيوانات فكرة العمل بوحى من نفسها . وعند قدوم الخريف جد على المزرعة أعضاء جدد . فقد وضعت أربع خنزيرات واحداً وثلاثين مولوداً فيما بينها يقع على المزرعة عبء إطعامها ، ولما كانت جميع الخنازير الوليدة رقطاء اللون ، ولما كان نابليون هو الذكر الوحيد بين الخنازير الذى لم تجر عليه عملية الخصى - فقد كان يظن بالمزرعة أنه الأب الأوحده المحتمل ؛ وذلك ما قد تم بالفعل إعلانه رسمياً بعد ذلك وقد تقرر بناء مدرسة خاصة بها حالما يوجد الطوب والحشب اللازمان .

وقد كان نابليون يشرف بنفسه على توجيه هذه الخنازير الصغيرة في مطبخ المنزل ، وكانت تتدرب على الرياضة بحديقة المنزل . كما صدرت إليها التعليمات بتجنب اللعب مع صغار الحيوانات الأخرى ، وفي ذلك الوقت أيضاً صدرت التعليمات لحيوانات المزرعة بأنه إذا ما تقابل خنزير وحيوان آخر في ممر ضيق فإنه ينبغي على هذا الحيوان الآخر أن يتحى جانباً ريثما يمر الخنزير ! وكذلك أعطى الإذن لجميع الخنازير على اختلاف رتبها بتزيين ذيوها بالأشرطة الخضراء في أيام الآحاد !

ومع أن محصول الموسم كان جيداً فإن المزرعة كانت تعاني من نقص العملات النقدية لشراء الطوب والرمل والجير لبناء المدرسة ، وكذلك لتوفير شتى متطلبات الطاحونة من الأجهزة ، وكان عليها أيضاً شراء البترول اللازم للإضاءة والشموع للمنزل ، والسكر للنايليون وحده ، فقد أصدر أمره بحظر أكله على بقية الخنازير بدعوى حرصه على عدم ترهلها ، وكذلك ينبغي شراء الأدوات المختلفة كالمسامير والحبال والفحم والأسلاك والحديد (وبسكويت) الكلاب !

ولذلك فقد بيعت كمية من الدريس ومحصول البطاطس ؛ كما عدل عقد بيع البيض بحيث زيد إلى ستائه بيضة أسبوعياً ؛ مما كان يهدد بنقص عدد الدجاج بالمزرعة بعد أن اتضح أن البيض المخصص للفقس في هذا العام لم يكن كافياً ، وقد تقرر إنقاص الوجبات المقررة للحيوانات في شهر ديسمبر ، وأعيد إنقاصها في فبراير ؛ كما حظر عليها استعمال المصاييح في حظائرها اقتصاداً للبترول ؛ وبرغم ذلك فإن الخنازير كانت دائماً في أحسن حال ، بل إنها بدت أكثر وزناً !

وبعد ظهر يوم من الأيام سرت رائحة زكية تنبئ بفداء دافئ مطبوخ ، ولم تكن الحيوانات قد شمت من قبل مثل هذه الرائحة التي كانت تنبعث من معمل التخمير الذي خلف المطبخ والذي كان قد أهمل منذ رحيل مستر جونز ، وظلت الحيوانات تشم هذه الرائحة المنبعثة التي تشبه رائحة الشعير المطبوخ وهي تحلم بوجبة ساخنة عند العشاء تهديء من شدة البرد الذي تعانیه عند حلول المساء .

ولكن حلمها هذا كان بعيداً عن التحقيق ، بل على العكس من ذلك : ففي اجتماع يوم الأحد التالي تلقت الحيوانات الأمر بتخصيص كل إنتاج الشعير لاستعمال الخنازير وحدها ، وكان الحقل الذي خلف حديقة الفاكهة قد زرع شعيراً بالفعل . وقد تسرت الأنبياء للحيوانات أنه قد قرر لكل خنزير قدح من الجعة يومياً على

حين خصص لنا بليون نصف جالون يقدم له في صحن عميق من الصيني الفاخر !
نعم ، إن الحياة أمام الحيوانات قد أصبحت قاسية وإن كان يخفف عليها بعض
هذه القسوة شعورها بمزيد من الكرامة أكثر من ذى قبل ، وكذلك فإنها كانت تنعم
بمزيد من الأغاني والخطب والمواكب ، كما أمر نابليون أن تقدم لها كل أسبوع حفلة
مفاجآت تدور في محورها حول انتصار مزرعة الحيوانات وحتمية النضال ! وفي
المواعيد المقررة لانتهاء العمل كانت الحيوانات تصطف وتسير في مشية عسكرية حول
حدود المزرعة وقد تقدمت الخنازير الصف تتبعها الخيل ثم البقر فالغنم ، وأخيراً
طيور المزرعة في حين تمشي الكلاب على جانبي الموكب يتصدرها جميعاً ديك
نابليون الأسود ! وكان بوكسر وكلوفر يحملان فيما بينهما علم المزرعة الأخضر يزينه
حافر وقرن وقد كتب عليه : « يعيش الرفيق نابليون » ، وبعد ذلك الموكب كانت
تتلى عليها قصائد المديح لنابليون ، ثم تبدأ خطبة سكويلر لبيان آخر تطورات المركز
الإحصائي لزيادة الإنتاج الغذائي ، وتيماً بهذه المناسبة - تطلق رصاصة من
البنديقية !

وكانت الغنم أكثر الحيوانات ترحيباً ومساهمة في مثل هذه الحفلات المرتجلة ،
وإذا ما همس أحد الحيوانات بالشكوى (وهو ما كانت تفعله إذا لم يكن الخنازير
أو الحمام يجوارها) من طول الحفلات ، مما يضيع عليها الوقت ، ويعرضها للوقوف
الطويل في الصقيع - كانت الغنم تسرع إلى إسكانته بهتافها المدوي : « ذوات
الأربع أخيار ! ذوو الرجلين أشرار ! » ولكن الغالبية العظمى من الحيوانات كانت
تسعد بهذه الحفلات وما فيها من خطب عن الحرية ؛ كما كانت تسعد أيضاً بالأغاني
والمواكب وبيانات سكويلر الإحصائية وفرقة البارود وأذان الديك ورفع العلم ؛
فإن كل هذا كان ينسبها وطأة الجوع الذي كانت تعانيه ولولبعص الوقت !

وفي أبريل أعلنت مزرعة الحيوانات أنها قد اختارت النظام الجمهورى كنظام للحكم ، وأنه يتعين انتخاب رئيس للجمهورية ، وللم لا يمكن أحد قد تقدم للترشيح لهذا المنصب إلا نابليون وحده فقد انتخب بإجماع الآراء !

كما أذيع في اليوم نفسه أنه قد تم العثور على وثائق جديدة يتضح منها بجلاء تآمر سنوبول مع جونز ، وهى تفاصيل تؤكد دور سنوبول في الخيانة ، فإنه لم يكتف كما كان يتصور بالعمل على طعن زملائه الحيوانات من الظهر عند معركة « زريبة البقر » وفقاً لخطة مدبرة ، بل إنه حارب جهاراً في جانب جونز وفي وضح النهار ، بل إنه كان في حقيقة الأمر يقود بنفسه حملة الآدميين ، وإنه قد ابتدر المعركة وهو يصيح « فليحي بنو آدم ! أما الجروح التى كانت تدمى في ظهره والتي كانت الحيوانات تظنها من أثر بندقية جونز فلم تكن في حقيقة أمرها إلا بفعل أسنان نابليون ! وفي منتصف الصيف ظهر في المزرعة فجأة الغراب موسى بعد غياب استمر لعدة أعوام ، ولم تكن طبائعه قد تغيرت في شيء ؛ فهو كسول لا يجب العمل ، وحينما يتكلم فإنه كان يؤكد من جديد قصته القديمة عن جبل (السكر نبات) ، ولقد كان يحتم على جذع شجرة قديمة ، ويفرد جناحيه الأسودين ، ويتكلم في هذا الموضوع لساعات طويلة لمن يستمع إليه .

وكان يشير بمنقاره الضخم إلى السماء ثم يقول في وقار : هنالك في السماء أيها الرفاق ، هنالك في أعالي السماء وخلف هذه السحابة الداكنة التى ترونها بأعينكم جبل (السكر نبات) موطن السعادة حيث تلجأ إليه الحيوانات العسة إلى الأبد تستريح من شقاء الدنيا !

بل إن موسى وصل به الحد إلى الادعاء بأنه صعد إلى السماء بنفسه ، وشاهد حقول البرسيم يحدها سور من الفطائر وكتل السكر !

وقد آمن بنبوءته كثير من الحيوانات التي استحالت حياتها إلى تعس أى تعس وإلى جوع مرير وقد صورت لها أمانها أن عالماً آخر لا بد أن ينتظرها حيث يسود العدل ويعم الحق !

ولم تكن طبيعة العلاقة ما بين الخنازير والغراب مفهومة ؛ فمع أنها كانت تسخر بنبوءته عن جبل (السكر نبات) فإنها مع ذلك قد سمحت له بالإقامة في المزرعة بلا عمل ، بل إنها كانت تصرح له بقدهح صغير من الجعة يومياً !
التأم حافر بوكسر وهو مستمر في عمله بعزيمة لا تعرف الكلل ، وحينما تم له الشفاء انكب على عمله بعزيمة أقوى من ذى قبل ؛ كما كانت الحيوانات كلها تعمل كما يعمل العبيد الأرقاء طوال عامها ، فبجانب العمل في إعادة بناء الطاحونة وفلاحة الحقل - كان عليها بناء مدرسة خاصة لصغار الخنازير ، وابتدأت في بنائها في شهر مارس فعلاً .

وبرغم قسوة العمل مع نقص الوجبات الغذائية فإن بوكسر لم تفتر عزيمته ولم تبد عليه في أحاديثه أو غسله أية ظاهرة من ظواهر الشيخوخة وإن يكن مظهره قد تغير بعض الشيء ؛ فقد انطلقت لمعة شعره ، ونقص حجم عجزه ، وكان أصدقاؤه يأملون له أن يسترد وزنه إذا ما أقبل الربيع ، إلا أن آمالهم لم تتحقق في هذا الشأن .
بل إن مظاهر الضعف ابتدأت تلوح عليه حينما كان يصعد المرتقى الصعب من الحجر إلى موقع الطاحونة ، وكانت قوة إرادته وحدها هي التي تبقيه واقفاً على أرجله ، وكانت الحيوانات تراه وهو يجاهد ويتمتم «سأعمل أكثر» وصوته لا يكاد يخرج من فمه من الضعف ، وكان كلوفر وبنيامين يجذرانه من مغبة تبديد ما بقي له من عافية وهو لا يلتفت إلى نصحتها ، وكان قد أوشك أن يقرب من الاثنى عشر عاماً وقد كرس كل همه في أن يجمع للحيوانات القدر الكافي من الحجارة لإعادة

بناء الطاحونة قبل أن يصل إلى سن التقاعد !
وفي ساعة متأخرة من مساء الصيف سرت في المزرعة إشاعة مفادها أن سوء أقدم
وقع لبوكسر حينما كان يجرب بمفرده أحمالاً من الحجارة إلى موقع الطاحونة ، ثم أقبلت
حامتان مذعورتان بالخبر اليقين ، فقد انكفأ بوكسر على جانبه وإنه لا يستطيع
حراكاً !

وهب أكثر من نصف حيوانات المزرعة مندفعاً إلى الربوة وإذا بها تجذب بوكسر
مطروحاً بين عارضتي عريشة العربة ورقبته ممدودة إلى الأمام وهو عاجز أن يقيم رأسه
وقد غمر العرق الأبيض جانبيه ! وكانت عيناه تلمعان كالزجاج ليس فيها أثر
للوعى أو الإدراك وكان شريط رفيع من الدماء يسيل من فمه .

وقد ركعت كلوفر على ركبتيها الأماميتين بجواره وهي تنأجيه : بوكسر ، كيف
حالك ؟ وبصوت واهن أجابها بوكسر : رثنائى ! ثم تمتم لا شيء يهمنى الآن وقد
جمعت من الحجارة ما يكفي الطاحونة ، وأظنكم قادرين على إكمالها بعدى !
وأضاف أنني اقتربت من السن المقررة للتقاعد ولم يبق لى على بلوغها إلا شهر
واحد على أى حال ، وإننى كنت أتطلع بأمل كبير إلى بلوغ سن التقاعد لقد كنت
أخفى عنكم أملى هذا . وقد أسعدنى أن بنيامين كاد يناهز هو أيضاً السن المقررة ؛
وما أظن أحداً سيضن علينا بالراحة بعضنا إلى جوار بعض !

وقالت كلوفر له : يجب أن ننقلك فى الحال إلى مباني المزرعة ، وأهابت بإحدى
الحيوانات أن تذهب ؛ لتبلغ سكويلر ما حدث ، وانفضت الحيوانات من حوله
إلا كلوفر وبنيامين الذى ركع بجانبه دون أن يمس بكلمة يذود عنه الذباب بذيله
الطويل .

وبعد ربع ساعة حضر سكويلر وحوله الحيوانات وهو يبدى اهتمامه وتعاطفه ؛

كما أبلغ بوكسر أن الرفيق نابليون قد أحبط علماً بالأنباء ، وأنه يبدى بالغ أسفه لما حل به ، وخصوصاً أنه يعتبره أخلص العاملين بالمزرعة ، وأن ترتيبات قد اتخذت بالفعل لنقله إلى المستشفى البيطرى فى ويلنجدون .

وقد شعرت الحيوانات بشيء من الجزع لنبا إزماع نقل بوكسر إلى المستشفى ؛ فإن أحداً منها لم يبرح قط حدود المزرعة بخلاف مولى وسنوبول ، وإن فكرة وضع بوكسر تحت رعاية الآدميين لم تكن لتسعدنا إلا أن سكويلا أفهمها أن علاج بوكسر يحتاج إلى رعاية خاصة لا تتوافر بالمزرعة .

وبعد ذلك بنصف ساعة حينما استرد بوكسر بعض عافيته وقف على أقدامه بصعوبة ، وانسحب إلى حظيرته فى بطء على حين هيات له كلوفر ومعها بنيامين كومة من القش ، لينام عليها ؛ وظل بوكسر طريح فراشه يومين كاملين وقد عثرت الخنازير على زجاجة من الدواء وجدتها فى حمام المنزل بعثت بها إلى بوكسر ، وكانت كلوفر تزوده بجرعتين منها بعد الأكل ، وفى المساء بعد انتهاء العمل كانت توافيه وتنام معه فى حظيرته ، وتحدث إليه ؛ كما كان بنيامين يزوره ويدود عنه الذباب بذييله . وكان بوكسر كعادته شجاعاً فى مرضه ، ولم يكن يشعر بالأسى على نفسه ، فإذا ما قدر له الشفاء فإنه كان يتوقع أن يعيش لثلاث سنوات أخرى فى ركن من المرعى الكبير يقضيها فى راحة وسلام .

وقد كان يصبو إلى هذه الفرصة التى ستتيح له الوقت الكافى للدراسة والمعرفة ، وقد كان يأمل أن يحفظ بقية حروف الهجاء الباقية وعددها اثنان وعشرون حرفاً ، وظلت كلوفر وكذلك بنيامين يزورانها كل يوم بعد انتهاء ساعات العمل .

وفى ظهر يوم من الأيام بينما كانت الحيوانات تقوم بزراعة اللفت تحت إشراف الخنازير حضرت إلى المزرعة عربية ضخمة لنقل بوكسر وقد دهشت الحيوانات حينما

رأت بنيامين يهرع إليها من ناحية مباني المزرعة وهو ينهق بأعلى صوته .
وكانت هي المرة الأولى التي تبصر فيها بنيامين وقد استبد به الانفعال .
وكذلك فقد كانت المرة الأولى التي رآته فيها وهو يعدو ويصرخ بأعلى صوته :
تعالوا حالاً سريعاً ، إنهم يأخذون بوكسر بعيداً ! ودون أن تستأذن الحيوانات
الخنازير انفضت عن أعمالها هارعة إلى مباني المزرعة حيث أبصرت عربة نقل
صندوقية يجرها حصانان وعليها كتابة بالحروف الضخمة ويسوقها حوذي يرتدى
قبعة ذات شكل خاص . وانطلقت الحيوانات إلى العربة تودع بوكسر وهي تدعوه
بالسلامة .

وصاح فيهم بنيامين : أيها المغفلون أيها المغفلون يقول هذا وهو يدور حولهم
ويدق الأرض بحافره أيها المغفلون ألا تعلمون ما معنى الكتابة التي دونت على
العربة ؟ وخيم الصمت على الحيوانات وابتدأت موريل في فك الرمز ، ولكن
بنيامين دفعها جانباً ووسط ذمول الحيوانات انبرى يقرأ الكتابة ، فكانت : « ألفريد
سموندز - جزار خيول - وتاجر غراء - ويلنجدون متعهد جلود وعظام ومورد غذاء
للكلاب ! » .

وصاح بنيامين فيهم ألا تدركون بعد ما يدور حولكم ؟ إنهم يقذفون بوكسر إلى
الجزار ، وانبعثت من الحيوانات صيحات الذعر والاستنكار ، وعند هذه اللحظة
ألهب الحوذي ظهر خيله بالسوط ، وتحركت العربة تجرها الخيل وهي تحب خيباً
أنيقاً .

وتبعت الحيوانات العربة وهي تعدو وتولول ولولة عالية ، واندفعت كلوفر وهي
تعدو بأسرع ما تستطيع أرجلها وهي تصيح بوكسر ، بوكسر ، بوكسر ! وعند سماع
صوتها أطل بوكسر برأسه ذى الوسمة البيضاء ، فابتدرته كلوفر محذرة ! اخرج بسرعة

من العربة ، بسرعة ، إنهم يسوقونك إلى حتفك ! وصاحت الحيوانات : اهرب يا بوكسر ! ولكن العربة كانت تسرع في جريها وهي تيمم نحو باب المزرعة . ولم تكن كلوفر على يقين أن بوكسر قد فهم فحوى رسالتها إلا أن رأس بوكسر اختفى من فتحة العربة ، ثم سمعت الحيوانات أصوات حوافر بوكسر وهي تحدث بجدران العربة الخشبية ضجيجاً هائلاً محاولاً أن يجد لنفسه منفذاً إلى الهرب ! ولكن الزمن الذى كان فيه بوكسر قادراً على تحطيم صندوق العربة إلى شظايا كعبدان الثقاب ولى ، وأصبح عاجزاً معطماً ، فما هى إلا لحظات قليلة من المحاولة حتى خفت أصوات حوافره ، وخيم الصمت على العربة من جديد ! وفى محاولة يائسة اندفعت الحيوانات تجرى وراء العربة وهي تناشد حصانى العربة ألا يأخذها أخاهما إلى حتفه !

وتحركت آذان الحصانين إلى الخلف يتسمعان هذه الجلبة وإن كانا لا يفهماها واندفعا بسرعة إلى الأمام ، ثم شرعت الحيوانات فى الاندفاع إلى بوابة المزرعة ذات العوارض الخمس وسد طريق الخروج أمام العربة إلا أنها كانت قد اقتربت منها وشقت طريقها إلى خارجها ، وقد اختفى بوكسر معها إلى الأبد !

وبعد ثلاثة أيام أعلن نبأ وفاة بوكسر بمستشفى ولنجدون برغم ما لقيه فيها من عناية بالغة ؛ وقد نعى سكويلر إلى الحيوانات بوكسر ، وقرر أمامها أنه ظل بجانبه فى المستشفى حتى لحظاته الأخيرة ، وذكر لها وهو يمسح بظلفه دمعة لم يستطع أن يحبسها أن المنظر الذى تعرض له حينما كان فى صحبة بوكسر كان مؤثراً وعاطفياً ، وأنه قد تعرض إلى موقف لم يكن ليحتمله حينما كان بجانب سريه يستمع إلى صوته الواهن وهسه المنخفض فى أذنه ، ونقل لها ما قاله قبل أن يموت : « إن الأسى ليعصر قلبه لأنه لم يقدر له أن يشهد الطاحونة وقد اكتملت حال حياته ! » ولقد لفظ أنفاسه

الأخيرة وهو يهتف إلى الأمام أيها الرفاق في ظل الثورة ! تعيش مزرعة الحيوانات !
يعيش الرفيق نابليون ، نابليون دائماً على حق !

وهنا توقف سكويلر فجأة عن الكلام وقد احتقن وجهه من الغيظ وعيناه
ترمقان الحيوانات وبها معاني الأسى والتحدى وقد انتفض انتفاضة شديدة تدل
على استيائه وتوتره ؛ فقد نما إلى علمه أن فربة حقيرة سخيفة قد سرت في المزرعة
حينما حضرت العربة لنقل بوكسر وقد كتب عليها (جزار خيول) كما قرأت
الحيوانات ، فظنت الظنون ، واستنتجت ما شاء لها الهوى من أن بوكسر قد بيع إلى
الجزار !

وقال سكويلر : إنه لا يكاد يصدق أن يصل الغباء ببعض الحيوانات إلى هذا
الحد ، ثم صاح وهو ينتفض ويميل من جانب إلى آخر وقد هز ذيله بعصبية : إنكم
تعرفون تماماً المبادئ التي يقف من أجلها زعيمنا المحبوب الرفيق نابليون ، وإن
المسألة ذاتها لا تحتاج لكثير من الإيضاح ؛ فإن المستثنى الذي بعث بعربه كان قد
اشتراها من محل جزارة ؛ ولم يتح للمستثنى الوقت الكافي لإزالة ما كان على العربة
من كتابة قديمة !

ومن هنا وقع الالتباس في الفهم ، وقد استراحت شتى الحيوانات لهذا
التفسير ، وحينما أعاد سكويلر وصف الساعات الأخيرة التي قضاها بجانب سرير
بوكسر بشيء من الإسهاب ومدى الرعاية الطبية الكاملة التي عومل بها والأدوية
المرتفعة الثمن التي قرر نابليون شراءها برغم تكاليفها الباهظة - فإن البقية الباقية من
الشكوك التي كانت تراود الحيوانات تبددت تماماً ، كما خفف من لوعتها على رفيقها
الفقيد أنه على الأقل قد أسلم الروح وهو سعيد !

وفي يوم الأحد التالي ظهر نابليون شخصياً وأبّن بوكسر بكلمة قصيرة وأبدى

بالغ أسفه أنه لم يستطع استعادة جثمان الفقيد لدفنه في ثرى المزرعة إلا أنه قد أمر بعمل إكليل ضخيم من زهور اللوريل وإرسالها لتوضع على قبره .

كما ذكر أن الخنازير قد عقدت العزم كذلك على إقامة ولعة لذكرى الفقيد العزيز . وقد ختم نابليون خطبته ذاكراً أن الفقيد كان يتمثل بشعارين لازماه حتى ساعاته الأخيرة : هما : « سأعمل أكثر ونابليون دائماً على حق » وأن على الحيوانات أن تقتدى بهذين الشعارين الغاليين !

وفي اليوم المحدد للحفلة التأبينية حضرت إلى المزرعة عربة بقالة ويلنجدون . وسلمت صندوقاً خشبياً ضخماً إلى منزل المزرعة ، وفي هذه الليلة سمعت الحيوانات غناءً صاخباً ينبعث من المنزل تلاه صوت مشادات حامية انتهت بأصوات تهشم الزجاج ثم خفتت هذه الضوضاء عند الساعة الحادية عشرة مساء .

وفي اليوم التالي ظل السكون مخيماً على منزل المزرعة حتى الظهر ، وترددت إشاعة بالمزرعة مفادها أن الخنازير قد تمكنت في الليلة السابقة من شراء صندوق من الويسكى بطريقة ما !

الفصل العاشر

ومرت الأعوام بين مواسم تنفضى وأخرى تقبل ، مات في غضونهما كثير من الحيوانات ذات الأعمار المحدودة حتى لم يعد بالمرعة من الحيوانات من يذكر عهد ما قبل الثورة ما عدا كلوفر وبنيامين والغراب موسى وبعض الخنازير ، في حين نفق كثير من الحيوانات منها : موريل وبلويل وجيسى وبنشر ، وكذلك فإن مستر جونز قد وافاه الأجل المحتوم في مستشفى بعيد خاص بعلاج مدمني الخمر !

وقد طوى النسيان سنوبول ، وكذلك فإن ذكرى بوكسر قد انمحت إلا في قلوب قلة من عارفيه ! وأصبحت كلوفر فرساً عتيقة ضخمة البنية ، وقد أصيبت مفاصلها بشيء من التيبس ، وأصبحت وكأن عينيها دائماً مغرورتان بالدموع ! وقد بلغت من العمر ما يزيد على سن التقاعد بعامين إلا أن فكرة الإحالة إلى التقاعد في المرعة لم تعد قابلة للتطبيق ، بل إن الحديث فيها قد انتهى ؛ كما انتهت فكرة تجنيب جزء من المرعى للمسنين من الحيوانات ! أما نابليون فقد أصبح خنزيراً بالغاً ضخماً يزيد وزنه على ٣٣٦ رطلاً ، وكذلك فإن سكويلر قد بلغ من السمنة بحيث أصبح لا يمكنه فتح عينيه للرؤية إلا بصعوبة ، أما بنيامين فقد ظل بدون تغيير إلا من بعض الشعيرات البيضاء حول فمه وقد أثر في نفسه موت بوكسر فصار أكثر صمتاً وانطواءً .

وقد زادت أعداد الحيوانات بالمرعة وإن كانت بدرجة أقل مما كان متوقفاً في السنوات الأولى من الانقلاب . وقد ولدت على المرعة حيوانات لا تكاد تعرف

شيئاً عن الثورة إلا القليل مما تتناقله الحيوانات الأخرى ؛ كما اشترت مزرعة الحيوانات بعض الحيوانات التي لم يسبق لها أن سمعت شيئاً عن الثورة من قبل ! وقد أصبحت المزرعة تمتلك في ذلك الوقت خيولاً ثلاثاً بجانب كلوفر تتصف بالنشاط والإقبال على العمل وحب الرفاق وإن تكن غاية في الغباء حتى إن أحداً منها لم يستطع حفظ حرف واحد من حروف الهجاء بعد الباء ! وكانت هذه الخيول تصدق كل ما تُلقنه عن الثورة ومبادئ المذهب الحيواني Animalism ، وخصوصاً إذا ما نقل لها عن كلوفر التي كانت تشعر لها باحترام الأمومة !

وقد أصبحت المزرعة في عهدها الجديد أكثر رخاءً وأحدث تنظيمياً ، وقد ضم إليها حقلان اشتريا من مستر بلكنجتون ، وصارت المزرعة تمتلك آلة للدراس ، وأخرى لتجميع الدريس كما شُيدت مبانٍ أخرى كثيرة ، واشترى ويمبر لنفسه عربة صغيرة ؛ كما تم بناء الطاحونة بنجاح في آخر الأمر وإن لم تستغل في أغراض توليد الكهرباء ، واكتفى بتشغيلها كمطحنة للغلال ، وقد درت على المزرعة أرباحاً طائلة ، وكذلك اشغلت الحيوانات في بناء طاحونة أخرى بزعم أنها ستزود بجهاز توليد الكهرباء .

وقد نسيت الحيوانات الوعود القديمة التي طالما ردها سنوبول على مسامعها والتي كانت تحلم بها مثل تزويد الحظائر بالمصابيح الكهربائية والمياه الباردة والساختة واقتصار العمل على ثلاثة أيام فقط بالأسبوع ! وقد وصم نابليون هذه الأفكار بأنها تعارض جوهر المذهب الحيواني ، فإن السعادة الحقيقية تكمن كما قال في العمل الجاد والتعشق في الحياة ! ورغم زيادة ثراء المزرعة فقد ظلت الحيوانات التي تعيش بها على سيرتها الأولى من الفقر ما عدا الخنازير بطبيعة الحال وكذلك الكلاب ، وربما كان تعليل ذلك أن الخنازير أصبحت تمثل الأغلبية بالمزرعة ،

ولم تكن الخنازير عاطلة لا تعمل ، وإنما كانت لها تخصصات دقيقة لا يستطيعها أحد غيرها ! كما كان سكويلر يذكر مراراً وتكراراً للحيوانات أن الخنازير تؤدي أعمالاً جلييلة لا تكاد تنتهى فى مجالات الرقابة والتنظيم الإدارى بالمزرعة ، وأن كثيراً من هذه الأعباء أصعب من أن يتناولها الشرح وإن كانت فى صورتها المبسطة عبارة عن تحرير الملفات والتقارير والمذكرات ومحاضر الجلسات وتدوينها !

ومثل هذه الأعمال تؤدي بالكتابة على كميات ضخمة من الورق ، فإذا ما تم لها تحجير هذه الأوراق فإنها بعد ذلك تجمعها وتحرقها بالفرن ، وأفهمها سكويلر أن مثل هذه الأعمال هى من الأهمية بمكان لرفاهية المزرعة برغم ما يبدو من أن الخنازير والكلاب لا تساهم مباشرة بالمجهود العضلى وأن شهيتها دائماً ممتازة .

أما الحيوانات الأخرى فقد كانت حياتها تسير على نمط واحد ؛ فهى دائماً جوعى تنام على القش ، وتشرب من البركة ، وتعمل فى الحقل ، وفى الشتاء تعاني من البرد ، أما فى الصيف فمن الذباب ، وفى بعض الأحيان فإن العجائز منها كانت تعصر ذاكرتها ؛ لتعود بها إلى أيام الثورة الأولى بعد طرد جونز ، وماذا كانت عليه حالها فى ذلك الوقت بالمقارنة مع ما هى عليه الآن من حيث السعادة والشقاء ؟ ولكنها كانت لا تذكر شيئاً تستطيع به مضاهاة الماضى بالحاضر اللهم إلا بيانات سكويلر الإحصائية التى يتضح منها بجلاء أنها تتقدم يوماً بعد يوم ! ولكن تفكيرها فى هذا الشأن لم يكن ليقودها إلى جواب شاف ؛ كما أن عملها اليومى الشاق لم يدع لها فراغاً للتفكير .

أما بنيامين العجوز فقد كان يدعى أنه يذكر كل تفاصيل حياته المديدة الماضية ، وكان يكرر القول بأن الحياة هى الحياة ، وأنها لم تكن فيما مضى أسوأ أو أحسن مما هى عليه الآن ! فهى تمضى رتيبة ديدنها دائماً الجوع والتعب وخيبة

الأمل ! ومع ذلك فإن الحيوانات لم تكن لتكف عن الأمل في المستقبل ؛ كما أنها لم تفقد ولو للحظة واحدة شعورها بالفخر والاعتزاز بانتها إلى مزرعة الحيوان ؛ فهي الحيوانات (الوحيدة) في أنحاء إنجلترا التي تمتلكها بنفسها وتدير مزرعتها الخاصة ! ولم يكن ليشد عن هذا الشعور بالإعجاب أحد منها صغيراً كان أو قادمًا جديدًا ممن اشترى من المزارع الأخرى التي تبعد عشرة أو عشرين ميلاً ، وحينها يدوى صوت البندقية أو يرفرف العلم الأخضر فوق ساريتته فإن قلوبها كانت تعمر بالفخر الأبدى ، وتعود إلى أحداث البطولات الماضية حينما استطاعت الحيوانات طرد جونز ، وحينما دوت الوصايا السبع ، وحينما استطاعت أن تنصر على الآدميين في معارك مشهودة !

إنها الأحلام الذهبية التي لم يستطع الزمان أن يجرى عليها بالنسيان ، بل إن الحيوانات كانت يداعبها الأمل القديم الذي تنبأ به ميجور من دحر الآدميين وتطهير كل حقول إنجلترا الخضراء منهم ! إن هذا اليوم لقادم ، وربما كان وشيكاً ، وربما تحقق حال حياتها ، ولكنه يوم لا ريب فيه . بل إن الحيوانات في خلواتها كانت ما تزال تدمدم بلحن « يا وحوش إنجلترا » كلما أتاحت لها الفرصة ، وعلى أي حال فإنها كانت تحفظ اللحن وإن جبت عن التغنى به جهراً !

ربما كانت حياتها شاقة والكثير من آمالها كان بعيداً عن التحقق ، ولكنها تدرك تمام الإدراك أنها حيوانات ليست كبقية الحيوانات الأخرى ، فهي إذا ما جاءت فإنها لا تعتمد في القليل الذي تأكله على الآدميين المتجبرين ! وإذا ما أرهقت في العمل فإنها تدرك أن عملها يعود عليها ؛ كما كان يسعددها أنه ليس بالمزرعة من يمشى على رجلين اثنين ، وليس بينها سيد ومسود ؛ أليست كل الحيوانات سواسية ؟ وفي ذات يوم من أوائل الصيف أمر سكويلر الغنم أن تتبعه إلى أرض قفر في

الطرف البعيد من المزرعة حيث تنبت شجيرات البتولا الشيطانية ، وكانت تقضى طوال يومها وهي ترعى أوراق الشجيرات تحت إشراف سكويلر ، وفي المساء كان سكويلر وحده يرجع إلى مترل المزرعة على حين يترك الغنم في مرعاها في ليل الصيف الدافئ .

وظلت الغنم على هذه الحال أسبوعاً كاملاً لا تتصل في غضونه بالحيوانات الأخرى ، كما ظل سكويلر طوال هذا الوقت معها مدعياً للآخرين أنه على وشك تلقيها أغنية جديدة ، وبعد عودة الغنم وفي ليلة من ليالي الصيف اللطيفة حينما انتهت الحيوانات من عناء عملها وهي تتجه إلى مباني المزرعة تناهى إلى أسماعها سهيل حصان فرع ينبعث من الفناء وقد توقفت الحيوانات ؛ لتسمع من جديد ، فإذا الصهيل ينبعث (ثانياً) وخيل إليها أنها كلوفر ، فاندفعت الحيوانات تجرى إلى الفناء فإذا بها تبصر الشيء الذي أفرغ هو نفسه كلوفر ، لقد كان أمامها خنزير يمشى على رجليه الخلفيتين ، ودققت النظر فإذا به سكويلر يخطو ورجلاه لا تكادان تحملانه من فرط سمته ، ومع أنه كان حديث العهد بمشية الرجال فإنه استطاع أن يحتفظ بتوازنه جيداً ! وبعد لحظة من الزمان خرجت الخنازير من المنزل إلى فناء المزرعة في طابور طويل وهي تمشى على أرجلها الخلفية بعضها يكاد يتقن المشية ، وأخرى تترنح وكأنها تبحث عن عكاز يحفظ عليها توازنها ، ولكنها على أية حال استطاعت أن تدور حول الفناء بنجاح ، وفجأة علا نباح الكلاب ، وسمع صوت أذان الديك الأسود ، ثم خرج عليها نابليون بذاته وبطلعته الملكية واعتدال قامته وهو يوزع نظراته المستعلية على رعيته هنا وهناك وكرابه تحيط به وهي تتوثب ، وفي شق ظلفه شاهدت الحيوانات سوطاً ! وخيم صمت عميق ، وبدت على الحيوانات أمارات الدهشة والخوف ، واقتربت بعضها من بعض تشاهد طابور الخنازير وهي

تدور حول الفناء في تودة ، وخيل للحيوانات أن السماء قد انطبقت على الأرض : ولما زالت عنها آثار الصدمة العنيفة التي أحدثها هذا المنظر وعلى الرغم من رعبها من الكلاب وعادتها في الصمت المتصل عبر السنين الطويلة دون أن تجرؤ على التصريح بالشكوى أو توجيه النقد مها يكن البلاء والعناء - بالرغم من كل هذا فإن بعض الحيوانات ربما أفصححت عن اعتراضها واعتراضها الشديدين !

وقبل أن تفكر واحدة منها أن تفتح فيها انفجرت الأغنام في هتاف عال وكأنها قد تلقت إشارة البدء فانطلقت في صوت واحد تردد شعاراً جديداً : « ذوات الأربع أختيار ، ذوو الرجلين أفضل ! » ذوات الأربع أختيار ذوو الرجلين أفضل ذواليك ! .

وظلت الأغنام تردد شعارها المستحدث الخمس دقائق دون انقطاع ، ولما هدأت كانت الفرصة السانحة للاعتراض قد ولت ، وكانت الخنازير قد قفلت عائدة إلى منزلها .

وأحس بنيامين بأنف كلوفر وهو يقرب من كتفه وقد خبا بريق عيني كلوفر أكثر من ذي قبل ، ودون أن تتكلم اندفعت تربت معرفته بحنان وهي تقوده إلى حائط الحظيرة حيث دونت الوصايا السبع ، ولدقيقة أو اثنتين وقفنا ينظران الحائط الأسود وعليه حروف بيضاء ، ثم قالت كلوفر أخيراً : إن بصرى يخونني كما أنني حينما كنت في شبابه لم أكن لأستطيع أن أقرأ ما كان مدوناً على الحائط ، أما زالت الوصايا السبع كما كانت على حالها يا بنيامين ؟ وللمرة الأولى خالف بنيامين سيرته الأولى في الصمت ، وأخذ في قراءة ما كان مدوناً على الحائط ، ولم يكن على الحائط إلا وصية واحدة نصت على الآتي :

كل الحيوانات سواسية

ولكن بعض الحيوانات أكثر مساواة بعضها لبعض !

ولم يعد من المستغرب بعد ذلك حينما حضرت الخنازير لتلاحظ سير العمل بالمزرعة أن يحمل كل منها سوطاً في أظلافه ، ولم يعد من المستغرب أيضاً أن تتوالى الأبناء عن أن الخنازير قد اشترت لأنفسها مذياعاً وأنها تتخذ الترتيبات كافة لشراء تليفون ، وأنها قد اشتركت في مجلات جون بول وتيتبتس والدبلي ميورر ، ولم تكن الحيوانات لتدهش حينما أبصرت نابليون وهو يتتزه في حديقة المنزل على حين يدخن غليونه ! ولم يعد يدهشها كذلك منظر الخنازير وهي ترتدى ثياب مسر جونز وقد تأتق نابليون نفسه في معطفه الأسود ، كما ارتدت خنزيرته الحسنة ثوباً حريياً هفهافاً كانت مسر جونز تعده لأيام الآحاد !

وبعد ظهر يوم من الأسبوع التالي وفدت على المزرعة عدة عربات هبط منها وفد من جيرانها الزارعين دعوا للقيام بجولة تفتيشية في أنحاء المزرعة ، ليطلعوا بأنفسهم على جميع نشاطاتها ، فأبدوا إعجابهم الشديد بكل ما شاهدوه وبالطاحونة على وجه الخصوص ، وكانت الحيوانات في ذلك الوقت منهمكة في تطهير حقل اللفت من الحشيش ، وظلت منكبة على عملها لا تجسر على رفع رأسها حينما قدم الوافدون وهي لا تعلم من أمر نفسها شيئاً هل هم البشر الذين أدخلوا على قلوبها كل هذا الملح أو هي الخنازير؟ ..

وفي المساء انبعثت من المنزل ضحكات عالية وأغان صاحبة وقد مس الحيوانات

شعور فياض بالفضول حينما اختلطت عليها الأصوات ، فإذا تكون عليه الحال حينما تجتمع الحيوانات للمرة الأولى مع الآدميين على قدم المساواة ؟
وكأنما كانت الحيوانات على اتفاق سابق ؛ فقد أخذت كلها ترحف في هدوء إلى حديقة المنزل ، وتوقفت برهة قصيرة عند مدخل الحديقة وهي لا تجرؤ على الدخول ، ولكن كلوفر قادت الجمع إليها ، وعلى أطراف أصابعها تقدمت الحيوانات إلى المنزل ، وتطلع طوال القامة منها عبر نافذة حجرة الطعام وقد شاهدت على المائدة الممتدة ستة من الزارعين وستة من وجهاء الخنازير يتصدرهم نابليون في المقعد الرئيس ، وبدت الخنازير سعيدة على سليقتها في مقاعدها الوثيرة ! وكان الجميع يتسلون بلعب الورق ؛ ثم ما لبثوا أن توقفوا إلى حين لتبادل شرب الأنتخاب ! ودارت على المجتمعين آنية ضخمة لإعادة ملء أكواب الجعة القارعة وهم لا يشعرون بالحيوانات التي كانت تطل عليهم من خارج المبنى وقد علت وجوهها الدهشة !

ثم وقف مستر بلكنجتون صاحب مزرعة فوكس وود وكأسه في يده وهو يقترح على الحضور أن يعيدوا ملء كئوسهم ؛ ليشرىوا نخباً ! ثم قال : إن لديه كلمة تلح عليه أن يلقيها ، فإنه قد وجد من دواعي سعادته الغامرة وكذلك سعادة الآخرين أن تنتهى فترة الشك وسوء الفهم التي قد سادت طويلاً العلاقات التي بينهم وبين السادة الداعين وإلى الأبد ، فقد مضى وقت طويل كان في المجتمع - وليس هو أو السادة الذين يزورون على وجه الخصوص - من ينظر إلى السادة الداعين ملاك مزرعة الحيوانات المبجلين بعين الريبة أو العداوة . وقد أدركى هذه البغضاء بعض الأحداث المؤسفة التي نجمت عن ظنون خاطئة ؛ فقد كان من المعتقد أن وجود مزرعة تملكها وتديرها الخنازير مخالفة لنواميس الحياة ؛ مما يهدد جيرانهم بعدم الاستقرار !

وإن كثيراً من الزراعين ظن في الوهلة الأولى أن مثل هذه المزرعة لا بد أن تكون مثلاً للقوضى وسوء النظام مما يهدد بانتقال عدواها إلى حيواناتهم بمزارعهم وكذلك مستخدميه .

أما الآن فقد زالت نهائياً مثل هذه الشكوك بعد زيارتهم لمزرعة الحيوانات وإطلاعهم على واقع أحوالها بأعينهم ، وإن ما عاينوه من تطور أساليب العمل بالمزرعة ، وكذلك دقة النظام والترتيب يجعل من هذه المزرعة مثلاً طيباً جديراً بالاتباع بين أصحاب المزارع كافة !

وإنه ليقرر عن يقين أن الحيوانات الدنيا في مزرعة الحيوانات إذا ما قورنت أحوالها بالحيوانات المثيلة في جميع بقاع إنجلترا فهي لاشك أكثرها عملاً وأقلها تغذية ، وأن كثيراً من الأساليب المتبعة في معاملتها كانت لهم أولى بالتطبيق في مزارعهم الخاصة !

ثم استأنف حديثه قائلاً : إنه يجتّم ملاحظاته مباركاً علاقات الصداقة والود التي سادت والتي يجب أن تسود دائماً بين ملاك مزرعة الحيوانات وسائر جيرانهم ، فلم يعد بين الخنازير والبشر أى تضارب في مصالحهم ؛ فإن طريق كفاحهم واحد ، ومصاعبهم مشتركة تكاد تدور في جميع الأحوال حول مشاكل العمالة والعاملين . ثم اختنقت الكلمات في حلق مستر بلكنجتون وكأنه كان يخشى أثر وقوعها على مضيفيه ، وقد تردد في التصريح بها ، وبدا عمق هذه المجاهدة النفسية عليه حينما حاول أن يكتم بعض الضحكات في صدره !

ثم إنه أطلق نفسه أخيراً على سجيبتها موجهاً كلامه لمضيفيه قائلاً : إذا ما كان لديكم مشاكل حيواناتكم فإن لدينا أيضاً مشاكل خادمتنا !

وقد هزت هذه المقابلة الفكرية أحاسيس الحضور فانطلقوا جميعهم في عاصفة

من الضحك ، ثم أعاد مسر بلكنجتون تهنته للخنازير على ما بلغت من زيادة ساعات عمل حيواناتها مع خفض وجباتها في الوقت نفسه ؛ كما هناها أيضاً على سياستها الصارمة إزاءها ؛ وختم كلمته طالباً من الحاضرين الوقوف ، واستهل تهنته بقوله : يا حضرات السادة ، دعونا نشرب نخبنا آمليين كل الرفاهية لمزرعة الحيوانات !

وقد قوبلت كلمته بصيحات الإعجاب وصوت الأرجل وهى تفرغ الأرض ، وبلغ الحماس بنابليون أنه ترك مكانه إلى حيث يجلس مسر بلكنجتون وقرع كأسه بكأسه قبل أن يفرغ محتواها في جوفه !

وحينها هدأ التصفيق ظل نابليون واقفاً وقد أبدى للحاضرين أنه أيضاً لديه ما يقوله ، وكعادته دائماً فقد كانت خطبته قصيرة وإن كانت تصل إلى أهدافها مباشرة ، وابتدر كلامه قائلاً :

إنه سعيد بنهاية فترة الشك ما بينه وبين جيرانه ، فإن ذوى المصالح من أعدائه قد أطلقوا شائعات خبيثة عن أنه وزملاءه ثوريون ذوو أهداف هدامة ؛ كما نسبوا إليهم محاولات مزعومة لإثارة العصيان والشغب بين حيوانات المزارع الأخرى المجاورة وقد كذب نابليون مثل هذه الإشاعات المغرضة قائلاً :

إنه الآن كما كان في الماضي لا ينشد إلا السلام وأن تسود بينه وبين جيرانه علاقات الود والتعاون ، وذكر أن مزرعة الحيوانات التى يتشرف بإدارتها ليست إلا مشروعاً تعاونياً تمتلك أسهمه بالتضامن - جميع الخنازير ، وأنه مع ثقته بأن سوء الظن القديم بينه وبين جيرانه قد ولى وانتهى فإنه إسهماً منه فى دعم هذه الثقة - سيعمل على إدخال تعديلات جديدة على نظام العمل بالمزرعة ؛ فقد لاحظ أنه قد فشت منذ زمن طويل عادة سخيفة لدى الحيوانات لا يعرف أسبابها

في توجيه بعضها إلى بعض كلمة رفيق ، وأنه قد قرر وقف استعمالها ، كما أن الحيوانات قد درجت أيضاً على عادة قبيحة لا يعرف أسباب نشأتها في السير في طابور عند صباح الآحاد ، ثم الانحاء بالتجبة لجمجمة خنزير مثبتة على قاعدة تحت سارية العلم بالحديقة ! وأنه قد قرر أيضاً إلغاء هذه الطوابير ودفن الجمجمة ! كما تساءل : هل زواره قد لاحظوا علم المزرعة الذي كان يرفرف على ساريته بفناء المنزل ؟ فإذا ما كان الأمر كذلك فلا بد أنهم قد لاحظوا أيضاً أنه قد أزال من العلم رسم الحافر والقرن !

وإنه قد قرر أن يكون لون العلم أخضر صرفاً ؛ ثم وجه حديثه بعد ذلك إلى مستر بلكنجتون معاتباً له ومبدياً ملاحظاته على خطابه الممتاز الذي تميز بروح الصداقة الخالصة إلا أنه أشار إلى أن جاره العزيز قد أخطأ حيناً أورد اسم المزرعة على أنه « مزرعة الحيوانات » وواقع الأمر أن هذا الاسم قد تقرر إلغائه أيضاً ، وإنه يعلن ذلك للمرة الأولى ، فإن الأمانة التاريخية تقتضى أن يخلع على المزرعة اسمها الحقيقي القديم (مزرعة مانور) !

ثم ختم حديثه قائلاً : يا حضرات السادة : إنني أقترح نجماً لا يختلف هو وسابقه في جوهره وإن اختلف من حيث الشكل فاملثوا كنوسكم حتى نهايتها ، وإليكم نخبي يا حضرات السادة متمنياً مزيداً من الرفاهية لمزرعة مانور ! وقد قوبلت كلمته بالترحيب القلبي نفسه كسابقها ، وشربوا كنوسهم حتى

التمالة !

وكانت الحيوانات تنظر لما يدور وقد أدركت أن شيئاً غريباً يلوح في الأفق ؛ فما عادت تعلم ما الذي أبدل ملامح الخنازير ؟ وظلت عينها كلوفر الذابلتان تنتقلان من وجه خنزير إلى آخر ، فمنها : ما كان لغده ذا خمس طيات ، ومنها ما كان له أربع

أو ثلاث ، ولكن كلوفر لم تعد تدري ما الذى جد على الخنازير أو عليها هي ؟
فما عادت تميز بين وجه وآخر !

ثم انتهى التصفيق ، وعاد الجلوس إلى لعب الورق مستأنفين أدوارهم التي
توقفوا عنها ريثما يتبادلون الكلمات والأخبار ! وزحفت الحيوانات بعيداً في
صمت ، وماكادت تبعد عشرين (باردة) حتى توقفت (ثانياً) فإن صخباً مدوياً
انبعث من المنزل ، فاندفعت تستطلع الخبر عبر النوافذ من جديد ، فإذا بها أمام
نقاش جام يدور حول مائدة اللعب ، وعلا الصياح والدق بقبضات الأيدي على
المائدة ، وتبادل الرجال والخنازير الاتهامات ، وانبعثت من أعينهم نظرات
الشك : فمنهم من يوجه الاتهامات ، ومنهم من ينفبها في عصبية ظاهرة ، وقد
اتضح أن سبب الشقاق هو أن نابليون أو مستر بلكنجتون كان يغش في اللعب ،
فقد رمى كل منها بالورقة الواحدة نفسها تلو الآخر !

وعلت نبرات الغضب من اثني عشر صوتاً تشابهت نبراتها ، وتشاكل
أصحابها ، فما عادت الحيوانات تدرك : أين الخنازير ؟ وأين الرجال ؟
ففي الخارج كانت المخلوقات التعسة تنتقل بأبصارها من الخنزير إلى الرجل ،
ومن الرجل إلى الخنزير ومن الخنزير إلى الرجل مرة أخرى وقد اختلط عليها الأمر ،
فما عادت تميز بين هؤلاء وهؤلاء !

رقم الإيداع	١٩٧٩/٣٣٤٤
الترقيم الدولي	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ٧٤٣ - ٢

١/٧٨/٣٠٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)